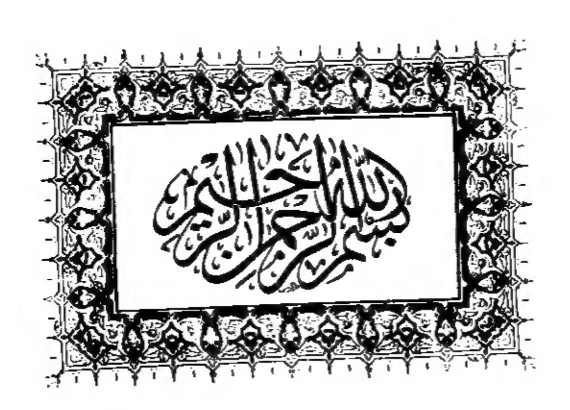
القرآن

كتاب أحكمت آياته

« ٢ »

د/ أحمد محمد جمال
أستاذ الثقافة الإسلامية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة




بسم الله الرحمن الرحيم



مباحث الكتاب

صفحة



مقـــــدمـة

يقول الله عز وجل : ﴿ **ألر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ .[1]

والإحكام : المنع من الفساد ، وأحكم الأمر إذا أتي به على وجه لا يتطرق إليه خلل أو فساد ـ أي أن القرآن الكريم كتاب جليل القدر ، عظيم الشأن ، نظمت آياته نظماً محكماً ، ولا يلحق معانيه تناقض ، ولا يفسد مقاصده خلل أو اضطراب .

وفي شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٢هـ أصدرت رابطة العالم الاسلامي ضمن سلسلة (دعوة الحق) الجزء الأول من تعقيباتي على بعض المؤلفين القدامى والمحدثين حول القرآن الكريم ، وتفسير آياته ، وما قيل عن بعضها من نسخ أو استغرابٍ أو اضطراب أو إشكال ..

وها هو الجزء الثاني من تعقيباتي على مؤلفين آخرين من مسلمين ومستشرقين .. حول القرآن أيضاً ، وتأويل بعض آياته ، وفهم شيء من موضوعاته ..

وقد قلت في مقدمة الجزء الأول ـ ص/٦ ـ : أن الإشكال

---

(١) سورة هود الآية ١.

والاستغراب وتوهم الاضطراب إنما هو في عقولنا نحن البشر ، وليس في آيات القرآن الكريم ، ولا في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام الصحيحة سنداً ومتناً ..

● أي أن القرآن محكم الآيات لفظاً ومعني ، وقد يسر الله عز وجل تلاوته وفهمه كما قال تبارك وتعالى : ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر**﴾ وقال أيضاً : ﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم ..**﴾ على قراءة الوصل التي تؤيدها وقد فصلنا القول فيها تفصيلاً في كتابنا : ﴿**مأدبة الله في الأرض**﴾ .

ولكن قد يخفي على البعض فهم شيء من آيات القرآن ومقاصدها من أحكام وآداب ومواعظ وقصص . والله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلاّ أولو الألباب ـ كما قرر القرآن ذلك في سورة البقرة ..

* * *

وقد تناولنا ـ في هذا الجزء من تعقيباتنا ـ كتباً ودراسات لبعض العلماء المسلمين والمستشرقين بالتصحيح لما ذهبوا إليه من فهم أو تأويل .. رأيناهم فيهما قد ابعدوا عن مقاصد الآيات ، وعن حقيقة موضوعاتها ، وأدلة هذه المقاصد والموضوعات من سباق وسياق ، والاستئناس بآيات أخرى تؤكد هذه المقاصد والموضوعات . وبأحاديث نبوية صحيحة تؤيد ذلك .

والله وحده نسأله أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا إلى المزيد من فهم كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وادراك مقاصدهما الحكيمة ، وآدابهما الكريمة ، وتعليم ذلك للناس طلباً لبشرى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] .

أحمد محمّد جمَال

شوال ١٤٠٤هـ
يوليو ١٩٨٤م

---

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجة .



حول المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن

أتيحت لي فرصة الاطلاع على كتاب (المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن) لجولد تسيهر .. وهو بما ضم من بحوث مستفيضة في هذه المذاهب المتباعدة قد نم على سعة عرفان كاتبه ، وشدة صبره على المراجعة والدرس لهذه المذاهب المفرقة في كتب عدة ، ثم المقارنة بينها ، واعلان الرأى الأثير لديه فيها .. ولذلك فنفعه أكبر من إثمه ، واثمه ليس غير الحيدة التي ألفناها في كتب المستشرقين ، فلم تعد ذات خطر إلاّ على جاهل منا يجب أن نعلمه ، أو صابيء يجب أن نؤدبه ، أو داع مأجور يجب أن نخزيه[1] .

على أني أؤثر الا أتصدى لجدال المسائل التي أثم فيها المؤلف وحاد ، فهي أولاً : قليلة .. ومن البساطة بحيث يدرك القارىء المؤمن الفقيه ما فيها من زيغ يكشف نفسه ، وهي ثانياً : قد عقب عليها المعرب وهو عالم أزهري فاضل بردود قصيرة النفس ، كان بودنا لو أطال فيها ، وصال عليها بحجج أوفى وأشفى .

وإنما همي اليوم أن أقول ـ بصراحة لا أكذب فيها ولا أخاف

(١) في كتابنا : (مفتريات على الاسلام) فصل للرد على كتاب قولد زيهر : (العقيدة والشريعة في الاسلام) .

منها ـ أن مذاهب التفسير الاسلامية نفسها هي التي تأثم وتحيد ، فتغري المؤلفين الغربيين بالاثم والحيدة فهم ـ في منطق المسئولية المجردة ـ براء جد براء . وإنما نحن المسئولون عن هذه الهراءات والعلل والزحافات التي اقحمناها على قرآننا الكريم قبل فحصها ، واختبار الخطأ فيها من الصحيح ، وتمييز الطيب من الخبيث ، واثبات المعقول المقبول ، ونفي المردود المرذول .. ولو فعلنا ذلك لأوصدنا دون اعدائه وأعدائنا الباب ، وحمينا المحراب .

وهي كذلك : أن أعرض لبعض هذه المذاهب الاسلامية ـ استغفر الله ـ بل الدخيلة على الاسلام ، لأن الاسلام دين الفطرة السليمة والفهم السليم ، وهي من سلامة الفطرة وسلامة الفهم على بعد الأجرب من الصحيح .

وبعد : فالمنطق الذي نريد أن نزهق به هذه المذاهب التي أغرت الغربيين باشاعة الظنة في تأليف القرآن ـ هو أن نقول : أن القرآن لم ينزل على أصحابها هؤلاء !!

زيـادات إبن مسعـود :

لقد نقل المؤلف عن إبن مسعود رضي الله عنه أنه أضاف إلى بعض آي القرآن ما ليس من لفظة الخالد بمعناه ومبناه وقدسيته ، إن صحت رواية الاضافة عنه ، وإلاّ فالرد على أولئك الوضاعين عليه .

● فقد زاد بعد قوله تعالى **﴿وامرأته قائمة﴾** : وهو قاعد . وهي مقابلة مرذولة ، بل نشاز في نظام الترتيل ، يرفضها اعجاز

القرآن وينبذها المعني الصحيح للفظة (قائمة) وهو القيام بخدمة ضيف إبراهيم من الملائكة ، لا وقوفها منتصبة تتفرّج عليهم ، حتي يزعم الزاعمون أن إبراهيم كان قاعداً وهي واقفة .

● وزاد إبن مسعود بعد قوله تعالى : **﴿وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله﴾** : من أجل ما جئتكم به **﴿وأطيعوني﴾** فيما دعوتكم إليه . وهذا توضيح واضح لا نعرفه في أسلوب القرآن المعجز بإيجازه ــ حذفاً وقصراً ــ بل القرآن أرفع من أن يتدني لتوضيح ركيك .

● وزاد بعد قوله تعالى : **﴿كان الناس أمة واحدة﴾** : فاختلفوا **﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾** ونقول في هذه ما قلناه في تلك على سواء .

● وزاد بعد قوله تعالى : **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾** وهو أب لهم **﴿وأزواجه أمهاتهم﴾** وهذه إضافة تردها آية أخرى ثابتة قطعية من القرآن نفسه وهي قوله تعالى : **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** .

● وزاد بعد قوله تعالى : **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره﴾** : في قلب المؤمن ، وهذا تحديد وتضييق لنور الله الكامل الشامل ، بمعناه الحقيقي من إضاءة السماء بالنجوم وإضاءة الأرض بالشمس والقمر ، وبمعناه المجازي من تجميل السماء بالملائكة الأطهار ، وتجميل الأرض بالرسل والأنبياء والعلماء ، أو يكون التنوير معناه ، التدبير بالحكمة والرحمة ..

● وزاد بعد قوله تعالى : ﴿**وما يكون من نجوى ثلاثة إلى قوله : ﴿إلاّ هو معهم**﴾ : إذا أخذوا في التناجي ، وهذا أيضاً تحديد لقدرة الله ـ جل عن ذلك ـ على المعيّة بوقت التناجي دون القبلية والبعدية .. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ : إلى أجل مسمى ، وهي إضافة لا تتناسب وبلاغة الآية معني ومبني ، لأن الآية بصدد آيتاء الأجرة طويلاً كان الاستمتاع أو قصيراً ، وليست بصدد تحديد مدته المنهى عن إرادته وقصده في الحديث النبوي الشريف . وقد تكون هذه الاضافة من تقولات القائلين بجواز نكاح المتعة ـ على إبن مسعود ليتكئوا عليها أو عليه .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فصيام ثلاثة أيام**﴾ : متتابعات . وما أشبه الثانية بالأولى ! فقد إتكأ عليه أصحاب الرأي في وجوب تتابع صيام كفارة اليمين .

● والأعجب أنه أبدل اللسان بالميزان في الآية : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ، والذهب بالزخرف في الآية : ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ وصفراء ببيضاء في الآية : ﴿**بيضاء لذة للشاربين**﴾ وادريس وادراسين بالياس والياسين في الآيتين : ﴿**وأن الياس لمن المرسلين ـ سلام على الياسين**﴾ ﴿**وارشدنا**﴾ ﴿**باهدنا**﴾في الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ .

كما أبدل ﴿**مقيلهم**﴾ بـ ﴿**مرجعهم**﴾ في قوله تعالى : ﴿**ثم أن**

مرجعهم لالى الجحيم﴾ في حين أنهما يتباينان لفظاً ومعني أعظم التباين بحيث لا يلتبس في حروفها ، وبحيث لا يمكن تضمين فعل أحدهما معنىٰ الآخر ، ولا تصح نيابة (إلى) عن : (في) لأن (مقيلهم) تقتضي الأخيرة ، إذا أن معنىٰ القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار بنوم وبغير نوم ، ولا كذلك المرجع أو الرجوع وهذا ظاهر جد ظاهر .

نعم والله إنه : الأعجب والأغرب ، بل الأدهى والأكرب . فقد اتخذ أعداء القرآن ومنكرو اعجاز لفظه واعجاز معناه ، من هذا الابدال الذي لايسيغه ولا يصدق به نقل ـ وليجة للقول بأن القرآن مروي بمعانيه ، وأن المسلمين تصرفوا ويتصرفون فيه ! ! وعلى نفسها جنت براقش .

فضـــل إبن مسعـود وعلمــه :

ونحن إذ نجادل في هذه الاضافات المنسوبة لابن مسعود رضي الله عنه التي لا نسيغها عقلاً ولا نقلاً ـ لا ننس أن إبن مسعود رضي الله عنه كان صاحباً لنبي الاسلام ، وأثيراً عنده على كثير من أصحابه ، وحظيا منه بما يغبطونه عليه من مداومة الجلوس إليه ، وكثرة الاقتباس من أحسن سيرة وأصدق تحديث .. ولا ننس إطراء النبي ﷺ له : (لساق إبن أم عبد في الميزان أرجح عند الله من جبل أحد) يوم ضحك بعض أصحابه عليه لما قام يقتطع عود اراك ، فهبت ريح ظل إبن مسعود في هبوبها يتكفأ يمنة ويسرة حتىٰ ظهرت حموشة ساقية ـ أي دقتها ـ .

● وزاد بعد قوله تعالى : ﴿**وما يكون من نجوى ثلاثة إلى قوله : ﴿إلاّ هو معهم**﴾ : إذا أخذوا في التناجي ، وهذا أيضاً تحديد لقدرة الله ـ جل عن ذلك ـ على المعيّة بوقت التناجي دون القبلية والبعدية .. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ : إلى أجل مسمى ، وهي إضافة لا تتناسب وبلاغة الآية معني ومبني ، لأن الآية بصدد آيتاء الأجرة طويلاً كان الاستمتاع أو قصيراً ، وليست بصدد تحديد مدته المنهى عن إرادته وقصده في الحديث النبوي الشريف . وقد تكون هذه الاضافة من تقولات القائلين بجواز نكاح المتعة ـ على إبن مسعود ليتكئوا عليها أو عليه .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فصيام ثلاثة أيام**﴾ : متتابعات . وما أشبه الثانية بالأولى ! فقد إتكأ عليه أصحاب الرأي في وجوب تتابع صيام كفارة اليمين .

● والأعجب أنه أبدل اللسان بالميزان في الآية : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ، والذهب بالزخرف في الآية : ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ وصفراء ببيضاء في الآية : ﴿**بيضاء لذة للشاربين**﴾ وادريس وادراسين بالياس والياسين في الآيتين : ﴿**وأن الياس لمن المرسلين ـ سلام على الياسين**﴾ ﴿**وارشدنا**﴾ ﴿**باهدنا**﴾ في الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ .

كما أبدل ﴿**مقيلهم**﴾ بـ ﴿**مرجعهم**﴾ في قوله تعالى : ﴿**ثم أن**

الاضافات المنسوبة إلى إبن مسعود ، وأدلينا بما يكاد يبريء ابن مسعود منها كصحابي جليل معلوم الفضل مظنون التقوى ـ نقف من ابن مسعود رضي الله عنه أحد مواقف ثلاثة :

● **أحدها** : ان النقلة عنه أخذوها على أنها من أصل القرآن ، وهي تفسير إبن مسعود له .

● **وثانيها** : أن تكون موضوعة عليه وهو براء منها .

● **وثالثها** : أن يكون ابن مسعود نفسه سمعها كتفسير ثم رواها كأصل ، نسيانا منه كما نسي رضي الله عنه المعوذتين ونسي كذلك كيفية قيام الاثنين خلف الامام وصلاة النبي ﷺ لفجر يوم النحر في وقته ، وجمعه الصلاة يوم عرفة ، ونسي وضع المرفق والساعد على الأرض في السجود . ونسي كيف يقرأ النبي ﷺ ﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ ونسي رفع النبي يديه في الركوع (كما روى الزيلعي في نصب الراية نقلاً عن صاحب التنقيح) .

وعن ابن عباس أيضاً :

ويروي جولد تسيهر عن تفسير الطبري جـ ١ صفحة ٤٣٣ : أن ابن عباس رضي الله عنه رأى الا تقرأ هذه الآية : ﴿**فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا**﴾ هكذا فانه ليس لله مثل ، ولكن تقرأ هكذا : (فان آمنوا به فقد اهتدوا) أو (بما آمنتم به فقد اهتدوا) .

ونحن نعلم علماً لا يشوبه ظن ولا شك ـ ان ابن عباس كان

● وزاد بعد قوله تعالى : ﴿**وما يكون من نجوى ثلاثة إلى قوله : إلاّ هو معهم**﴾ : إذا أخذوا في التناجي ، وهذا أيضاً تحديد لقدرة الله ـ جل عن ذلك ـ على المعيّة بوقت التناجي دون القبلية والبعدية .. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ : إلى أجل مسمى ، وهي إضافة لا تتناسب وبلاغة الآية معني ومبني ، لأن الآية بصدد آيتاء الأجرة طويلاً كان الاستمتاع أو قصيراً ، وليست بصدد تحديد مدته المنهى عن إرادته وقصده في الحديث النبوي الشريف . وقد تكون هذه الاضافة من تقولات القائلين بجواز نكاح المتعة ـ على إبن مسعود ليتكئوا عليها أو عليه .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فصيام ثلاثة أيام**﴾ : متتابعات . وما أشبه الثانية بالأولى ! فقد إتكأ عليه أصحاب الرأي في وجوب تتابع صيام كفارة اليمين .

● والأعجب أنه أبدل اللسان بالميزان في الآية : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ، والذهب بالزخرف في الآية : ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ وصفراء ببيضاء في الآية : ﴿**بيضاء لذة للشاربين**﴾ وادريس وادراسين بالياس والياسين في الآيتين : ﴿**وأن الياس لمن المرسلين ـ سلام على الياسين**﴾ ﴿**وارشدنا**﴾ ﴿**باهدنا**﴾ في الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ .

كما أبدل ﴿**مقيلهم**﴾ بـ ﴿**مرجعهم**﴾ في قوله تعالى : ﴿**ثم أن**

(ما) في قوله : ﴿**بمثل ما آمنتم به**﴾ مصدرية ، فيكون المعني : « بمثل إيمانكم » ونظائره قوله تعالى : ﴿**والسماء وما بناها**﴾ أى بناؤها ، وقوله تعالى : ﴿**وما خلق الذكر والأنثىٰ**﴾ أى خلق الذكر والأنثىٰ الخ ...

زعمه : أن ابن عباس متأثر باليهود !

ثم يتظاهر جولد تسيهر مع لوث وكيتاني ، فيزعمون : أن المرجع المفضل عند ابن عباس في تفسيره هم أهل الكتاب وان مدرسته تصطبغ باللون اليهودي ، ليس في مسائل انجيلية واسرائيلية فحسب ، بل في تفسير أم القرآن والمرجان الخ ، وأن طريقة ابن عباس في تفسيره تصور مقدار تأثره بأهل الكتاب تصويراً ممتعاً .

والحقيقة الأولى التي يجب أن نقررها هنا عندما نجادل فيما يلصق بابن عباس وغيره من مفسرينا من تهمة الاتكاء ، والاستقاء من علماء اليهود ، من حسن اسلامه منهم ومن لم يحسن ـ هي أن كتب تاريخنا تروي أمثال هذه الشائعات المكذوبة بتعليق على بعض الروايات ، وبدون تعليق في أكثرها ، فينظر الباحثون من المستشرقين فيها ، وما أسرع ما يجدون أسلحتهم في أيدينا نحن ! وما أجرأهم على تناولها منا ، ثم ما أشجعهم في تسديدها إلينا ، وإذن فنحن الغفلة عن تاريخنا ونحن الجناة عليه .

أما جدالنا لهؤلاء المتظاهرين على إبن عباس ، فيستقيم بهذه الحقائق :

● وزاد بعد قوله تعالى : ﴿**وما يكون من نجوى ثلاثة إلى قوله : إلاّ هو معهم**﴾ : إذا أخذوا في التناجي ، وهذا أيضاً تحديد لقدرة الله ـ جل عن ذلك ـ على المعيّة بوقت التناجي دون القبلية والبعدية .. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ : إلى أجل مسمى ، وهي إضافة لا تتناسب وبلاغة الآية معني ومبني ، لأن الآية بصدد آيتاء الأجرة طويلاً كان الاستمتاع أو قصيراً ، وليست بصدد تحديد مدته المنهى عن إرادته وقصده في الحديث النبوي الشريف . وقد تكون هذه الاضافة من تقولات القائلين بجواز نكاح المتعة ـ على إبن مسعود ليتكئوا عليها أو عليه .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فصيام ثلاثة أيام**﴾ : متتابعات . وما أشبه الثانية بالأولى ! فقد إتكأ عليه أصحاب الرأي في وجوب تتابع صيام كفارة اليمين .

● والأعجب أنه أبدل اللسان بالميزان في الآية : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ، والذهب بالزخرف في الآية : ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ وصفراء ببيضاء في الآية : ﴿**بيضاء لذة للشاربين**﴾ وادريس وادراسين بالياس والياسين في الآيتين : ﴿**وأن الياس لمن المرسلين ـ سلام على الياسين**﴾ ﴿**وارشدنا**﴾ ﴿**باهدنا**﴾ في الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ .

كما أبدل ﴿**مقيلهم**﴾ بـ ﴿**مرجعهم**﴾ في قوله تعالى : ﴿**ثم أن**

الغابرين ، فبين ظهرانيهم من أنزل عليه ليبين لهم ما خفي عليهم .

● **الحقيقة الرابعة** : قال كبار البلاغيين من علمائنا أن في نزول آيات القرآن المدنية مطولة مفصلة دليلاً جلياً على أن أهل الكتاب كانوا أقل فهماً وذكاء من العرب حين خاطبهم القرآن بالآيات المكية القصيرة الموجزة ، اعتماداً على حسن فهمهم وقوة ذكائهم ، وما طبعوا عليه من صناعة الكلام ، فكيف إذن يستعين عربي بكتابي في تفسير القرآن !! .

● **الحقيقة الخامسة** : روى الطبري أن يهودياً لقي سعيد بن جبير وهو يتجهز من الكوفة للحج . فسأله أي الاجلين قضي موسي ؟ فأجابه ابن جبير : لا أعلم ثم أتي ابن جبير مكة فسأل ابن عباس تلك المسألة ، وقفل راجعاً فلقي اليهودي نفسه ، فأخبره أن ابن عباس يقول : ان موسي قضي أكثرهما وأطيبهما لأن النبي إذا وعد لم يخلف ، فقال اليهودي : صدق ابن عباس وما أنزل على موسي ! .

● **الحقيقة السادسة** : أن ابن عباس لم يسلم من الكذب عليه في تفسير بعض آيات القرآن : فلا يبعد أنه لم يسلم من الكذب عليه في الأخذ والتلقي من الغير . ونقول انه لم يسلم من الكذب عليه في التفسير. لانا قرأنا (تنوير المقباس) الذي يروي الفيروزبادي فيه تفسير القرآن يسنده عن ابن عباس ، وقرأنا كتاب اللغات في القرآن الذي أخبر به اسماعيل بن عمرو بسنده عن ابن عباس أيضاً ـ كما زعم ـ فوجدنا فيهما ما يسفل عن منزلة

● وزاد بعد قوله تعالى : ﴿**وما يكون من نجوى ثلاثة إلى قوله : ﴿إلاّ هو معهم**﴾ : إذا أخذوا في التناجي ، وهذا أيضاً تحديد لقدرة الله ـ جل عن ذلك ـ على المعيّة بوقت التناجي دون القبلية والبعدية .. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ : إلى أجل مسمى ، وهي إضافة لا تتناسب وبلاغة الآية معني ومبني ، لأن الآية بصدد آيتاء الأجرة طويلاً كان الاستمتاع أو قصيراً ، وليست بصدد تحديد مدته المنهى عن إرادته وقصده في الحديث النبوي الشريف . وقد تكون هذه الاضافة من تقولات القائلين بجواز نكاح المتعة ـ على إبن مسعود ليتكئوا عليها أو عليه .

● وأضاف بعد قوله تعالى : ﴿**فصيام ثلاثة أيام**﴾ : متتابعات . وما أشبه الثانية بالأولى ! فقد إتكأ عليه أصحاب الرأي في وجوب تتابع صيام كفارة اليمين .

● والأعجب أنه أبدل اللسان بالميزان في الآية : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ ، والذهب بالزخرف في الآية : ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ وصفراء ببيضاء في الآية : ﴿**بيضاء لذة للشاربين**﴾ وادريس وادراسين بالياس والياسين في الآيتين : ﴿**وأن الياس لمن المرسلين ـ سلام على الياسين**﴾ ﴿**وارشدنا**﴾ ﴿**باهدنا**﴾ في الآية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ .

كما أبدل ﴿**مقيلهم**﴾ بـ ﴿**مرجعهم**﴾ في قوله تعالى : ﴿**ثم أن**

(٣٩هـ) وقد خلا الطائف من اليهود بسبب اجلاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لهم من جزيرة العرب جمعاء ، عزماً منه على الا يبقي فيها دينان .

حـول رؤية الله في الآخـرة :

ويروي جولد تسيهر في كتابه مامعناه أن مجاهدا المكي المحدث المعروف ، واحد تلامذة ابن عباس الموثوق بهم ، والمعترف بفضلهم في تفسير القرآن ـ قد رفض التفسير المشهور لقوله تعالى : ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ ورأى أن ذلك اشارة إلى (الرغبة إلى الله) وانتظار جزائه وعلق على رايه بقوله : « لا أحد من الخلق يراه » .

ثم قال جولد تسيهر : فميل مجاهد إلى هذه العقلية المعتزلية الجريئة في التفسير حداه إلى القول : بأن المسخ في سورة البقرة : ﴿**فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**﴾ إنما هو تمثيل لمسخ قلوبهم دون أجسامهم ، وذلك كتمثيل القرآن للذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها في موضع آخر منه ـ بالحمار يحمل أسفارا ..

ونحن ـ على شكنا فيما روى عن مجاهد من هذه العقلية المعتزلية الجريئة ـ لا نحجم عن جداله ، أو جدال الناقلين عنه ـ إن صح أنه مكذوب عليه ـ وجدال جولد تسيهر نفسه الذي بدا مطمئنا إلى رأى مجاهد هذا ، ومعجباً به ، ساخراً من آمال المسلمين الواسعة في الرؤية الموعودة .

يقول مجاهد أو يقول الوضاعون عنه : أن معني ﴿**إلى ربها**

ناظرة﴾ أى متطلعة إلى جزائه أو راغبة في رضائه .. فنسأله أو نسألهم أولا : عن القرينة الصارفة عن حقيقة النظر إلى مجازها ؟ من قرآن أو حديث . ثم نسأله أو نسألهم : أي رغبة في الله أو في جزائه أو رضائه يوم القيامة .. يوم الجزاء الناجز السريع ؟ إن الرغبة في الله وهي اختيار مرضاته ، إنما مقامها الدنيا دار التكليف والعمل وانتظار الجزاء .

ثم ان شطر الآية الأول : **﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾** تؤكد أوضح تأكيد بأن الجزاء قد بدأ تنفيذه ، فاطمأنت الأنفس ، وسرت الوجوه ، ولم يبق الا تمام الجزاء الموعود ... رؤية الله تعالى حيث يرونه كما يرون القمر والشمس لا يضارون في رؤيتهما - كما جاء في صحيح البخاري .

● ومن ذلك ما أخرجه الامام مسلم : (إذا دخل أهل الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ! فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب . فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم) .

● وفي رواية أخرى بزيادة : ثم تلا هذه الآية : **﴿للذين احسنوا الحسني وزيادة﴾** .

و « النظر » - قبل كل ذلك - يستعمل في وجوده عديدة ، بحسب تعديه بنفسه ، أو تعديه بحروف الجر المختلفة ... وتتضح معانيه المتعددة بالأمثلة التالية :

- **﴿أنظرونا نقتبس من نوركم﴾** أي انتظرونا ..

- ﴿**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾ أي يتفكروا ويتأملوا ..

- ﴿**أنظروا إلى ثمره إذا أثمر**﴾ أي أبصروا وشاهدوا ..

وإذا أضيف « النظر » إلى « الوجه » الذي هو محل البصر كان حينئذ ألزم لارادة الحقيقة دون المجاز ، بلا جدال .

وهناك كبار الصحابة والتابعين فسروا « الزيادة » و « المزيد » في هاتين الآيتين : ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد**﴾ بأنهما : النظر إلى وجه ذي الجلال والاكرام !! .

على أن الآية التي يحتج بها المعتزلة : ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ ليست كما يفهمون معني الادراك انه الرؤية وإنما هو - لو يفقهون - الاحاطة ، وبدهي انه لا يلزم من نفي الاحاطة نفي الرؤية ، إذ أن في كل احاطة رؤية ، وليس في كل رؤية احاطة .

وأقرب الأمثلة على ذلك القمر يراه الصغير منا والكبير وضعيف البصر وقويه في أرجاء الكرة الأرضية جميعاً ، ولكنا لا ندركه . بمعني لا نحيط بحقيقة جرمه وكيفية استمداده الضوء من الشمس .

* * *

أما قول مجاهد أو قول الناقلين عنه أن مسخ أولئك قردة خاسئين إنما هو تمثيل فحسب فنجادله بالحجج التوالي :

● **الأولى** : إن قدرة الله تعالى التي تعلقت بنهايات السالفين العاصين من خسف وصيحة واغراق وتدمير الخ ـ لا يعجزها كذلك مسخ هؤلاء قردة خاسئين ، فالله على كل شيء قدير .

● **الثانية** : إن الله تعالى قال لهم : ﴿**كونوا قردة خاسئين**﴾ والكاف والنون هما اشارة الله بقدرته وأداة تنفيذه في آن واحد .. ولو قال : كانوا قردة خاسئين إذن لاحتمل التعبير بالماضي حذف أداة التشبيه ، ومهد للقول بأن هذا المسخ مجاز وتمثيل . أما وأن التعبير كامل صريح لا تقدير فيه لمحذوف ، ولا تأويل فيه لغامض من غوامض التنزيل ، فليس الأمر كما قالوا ...

● **الثالثة** : ليس من تماثل في المعني ولا في التعبير ، بين تشبيه حملة التوراة الذين لا ينتفعون بها ، بالحمار يحمل اسفارا ، وبين تقرير الله تعالى لقدرته الماسخة لاولئك الكافرين به قردة خاسئين .. إلاّ أن يكون تماثلاً في رأي من لا يميز التشبيه من التقرير ، وحينئذ يصدق التمثيل بقول الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فآية : ﴿**كونوا قردة خاسئين**﴾ صريحة في صدور أمر كوني بالمسخ ، وآية ﴿**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا**﴾ صريحة في تمثيل احبار اليهود بالحمير لعدم انتفاعهم بعلمهم .

حـول بعض القـراءات :

وروي جولد تسيهر ، عن الطبري ج/٤ص ١٠٣/أن قُرَّاء

المدينة والكوفة يصدفون من البناء للفاعل إلى البناء إلى المفعول في قوله تعالى : ﴿**وما كان لنبي أن يغل**﴾ إذ يرون في القراءة الأولى المشهورة فرضاً لسلوك شائن يصطدم ـ ولو بشكل سلبي ـ بصعمة الأنبياء ..

ونحن نسائل هؤلاء المتأدبين الفضلاء : ما الدافع إلى هذا التأدب الذي يذهب باعجاز القرآن وصحة منطقه ، وصدق تاريخه ؟؟ ما الدافع إلى صدوفهم في قراءة القرآن عن سبيلها القويم السليم ؟ لماذا هذا ؟ وقد روي الرواة الاثبات الثقات أن قطيفة حمراء فقدت من مغانم بدر ، فتهامس المنافقون ، مرضي القلوب ، بأن النبي عليه الصلاة والسلام قد آثر بها نفسه ـ فجاءت هذه الآية الكريمة تفصل في هذه القضية بحكمين أحدهما :

● أن الاختلاس من المغانم ، قبل قسمها وبعده على سواء : ليس من شأن الأنبياء الأغنياء بمواهبهم الروحية عن متاع الدنيا ولهوها الذاهب الرخيص ، ومحمد عليه الصلاة والسلام أحدهم ، بل أفضلهم . واشملهم رسالة إلى العالمين ، ورأفة بالمؤمنين .

● والحكم الثاني الذي جاءت به الآية الكريمة ، وهو زجر الغزاة عن أن يختلسوا من الغنائم قليلاً أو جليلاً ، وإيعادهم بجزاء بئس من جزاء ، جزاء فسرته الأحاديث النبوية في باب الغلول .

فهل تراهم بعد ذلك واجدين جواباً صواباً ؟ .

إن نفي الاختلاس من المغانم عن نبينا عليه الصلاة والسلام

وعن كل نبي ليس فيه مساس بعصمة الأنبياء ، وكرامتهم ، بل فيه تنويه بهذه العصمة والكرامة واثبات وتسجيل ، ودعوة للاتباع والاشباع أن يكونوا على أسوة من أنبياءهم ، فهو مدح وليس بقدح ـ فمالنا ولهذا التأدب الموهوم ، والتظنن المزعوم ؟ .

لقد كان حرياً بنا ـ لو استطعنا ولن نستطيع ـ أن نتأدب فنستعظم أن يكون النبي الكريم قد كاد يركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ـ كما في سورة الاسراء : **﴿ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾** . ـ وان تستعظم خطاب القرآن له بمثل قوله : **﴿لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾** ومثل قوله : **﴿فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾** ومثل قوله : **﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى ـ واما من جاءك يسعى وهو يخشي فأنت عنه تلهى﴾** نعم كان علينا ـ لو استطعنا ولن نستطيع ـ أن نقول أن مقام رسالته عليه الصلاة والسلام فوق الشرك والشك والخسران والتلهي عن المؤمنين والتصدي للمشركين .. فيجب أن تحذف هذه الآيات من القرآن أو تقرأ قراءة محرّفة عن أصلها ! ! .

على أن لهذه الآية موضوعة البحث مثيلة في ميناها ومعناها . وهي قوله تعالى : **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى ، حتي يثخن في الأرض ..﴾** بل في هذه الآية زيادة على تلك .. فيها مع النفي : العتاب بقبول الرسول مبدأ الفداء من أسرى بدر .

إن الذي فرض القرآن على رسوله هو الله خالقه ومرسله ، ما

شاء قال ، وما شاء فعل ، وما أصدق مقاله وأعدل أفعاله . لو علم الجاهل وفهم الذاهل .

فهل يريد هؤلاء . أن يتأدب الله تبارك وتعالى في خطاب انبيائه والحكاية عنهم ؟ إذن فما يقولون في قوله تعالى : ﴿**قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح إبن مريم وامه ومن في الأرض جميعاً**﴾ ؟ .

* * *

وروى جولد تسيهر أن الكسائي قرأ هذه الآية : ﴿**إن ابنك سرق**﴾ ببناء الفعل للمجهول مع كسر الراء وتشديدها ، بمعني نسبت إليه السرقة ، تأدباً من الكسائي عن الاعتراف بمعصية بنيامين التي تنطق بها الآية إذا قرئت بالبناء للفاعل وفتح الراء . كما روي جولد تسيهر عن تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٧٢) ان إمام الخليفة المستظهر قرأ هذه الآية بقراءة الكسائي ، فارتضاها الخليفة وقال : إن فيها تنزيهاً لاولاد النبي عن السرقة ! .

ونحن نجل عقلية الكسائي وعلميته ، وندعو له بالرحمة وحسن الجزاء ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نجادل فيما ذهب إليه بالبراهين الآتية :

● **أولاً** : إن سرق (بفتحات ثلاث) تعبير سليم ، اسناد الفعل فيه إلى بنيامين مبني على توهم إخوة بنيامين لما زعمه فتيان يوسف حين نادوا بهم : (انكم لسارقون) ومبني على وجدان يوسف

صواع الملك في وعاء أخيه فمعناه السليم : « سرق بزعمهم » ونظائره قوله تعالى : ﴿**وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها**﴾ ـ أي بزعمهم وقوله تعالى : ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا**﴾ وقوله تعالى : ﴿**وقالوا معلم مجنون**﴾ و ﴿**إن هذا لساحر عليم**﴾ وكذلك ما جاء من اتهام الأعداء للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه شاعر وساحر وكاهن .

● **وثانياً** : إن قوله (سارقون) في نفس السورة يجعل تأدب الكسائي غير كامل ، فهل استطاع أن يبنيه للمجهول أيضاً ؟

● **وثالثاً** : إن الآية : ﴿**ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل**﴾ في نفس السورة أيضاً تقف الكسائي في حالة عدم قراءته لفعليهما المضارع والماضي بالبناء للمفعول ـ موقف من يرى أن يوسف قد سرق حقيقة ـ وحاشاه ـ وإلا كان تأدب معه كما تأدب مع بنيامين ! ! .

● **رابعاً** : ان القرآن صريح في أن هذه مكيدة من يوسف ليحتفظ بأخيه ، وانها الهام من الله ليوسف : ﴿**وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله**﴾ .

اذن فهي مجازات تعبير ، تحتاج إلى دقة تفكير..

* * *

ويقول جولد تسيهر في ص ٧٨ : كان الرأى السائد في القرن

الأول الهجري هو أن الذبيح اسحاق كما أن المفسرين القدماء على هذا الرأى اعتماداً على رواية عن أبي هريرة ، وأن عمر بن عبدالعزيز هو الذي رأى الانتقال إلى القول بأن الذبيح هو اسماعيل بناء على ما ظهر له من أن اليهود حسدا منهم للعرب أن يكون الذبيح اياهم ، زعموا أنه اسحاق ، وكان ذلك منهم تحريفاً واضحاً لنص التوراة القائل : ﴿**قال الله لابراهيم أذبح ابنك الوحيد**﴾ إذ حذفوا (الوحيد) وأضافوا (بكرك اسحاق) .

وظاهر كلام جولد تسيهر انه سرد لشيوع هذين الرايين المتناقضين في قرنين متتاليين ، حول قضية الذبيح ... ولكن وراء هذا الكلام الملفوف غمز ستير خطير ، وهو أن علماء القرن الأول الهجري ، ومعظمهم صحابة أجلاء تخرجوا في أول مدرسة اسلامية على يد معلمها الأول عليه الصلاة والسلام . كانوا يفسرون الذبيح باسحاق ، وان الرأي القائل بأنه اسماعيل إنما ظهر في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بفضل ما ظهر من تحريف اليهود لنصوص التوراة ، ليس غير ... وهو زعم باطل نرده بحقيقتين :

● **أولها** : أن سورة الصافات وسورة الأنبياء تتظاهران في وضوح لا يحتمل التأويل ، على تقرير أن الذبيح إنما هو اسماعيل عليه السلام .

تقول سورة الصافات : ﴿... **وقال** ـ أي إبراهيم ـ **إني**

ذاهب إلى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ ؟ فهي صريحة في أن المراد بالذبح هو الابن البكر ، فمن الابن البكر إذن اهو اسحاق أم اسماعيل ؟

● **الثانية** : إن ترتيب ذرية إبراهيم عليه السلام جاء في القرآن مكرراً — في سورة البقرة وآل عمران والنساء — بتقديم اسماعيل ثم اسحاق : **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ..﴾**[1] .

● **الثالثة** : يقول المفسر الحافظ ابن كثير : إن الروايات التي تذكر أن اسحاق الذبيح كلها منقولة عن كعب الأحبار الذي اسلم في عهد عمر بن الخطاب ، وجعل يحدث الناس بما في التوراة من صحيح ومفترى . وقد نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية — في زاد المعاد — : أن اسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . ويضيف ابن تيمية : أن التوراة نفسها تنص على أن الله أمر إبراهيم بذبح إبنه البكر ولا يشك أهل الكتاب ولا المسلمون أن اسماعيل هو بكر أولاده .

ولنرجع إلى سورة الأنبياء ولنقرأ فيها : **﴿ووهبنا له — لابراهيم — اسحاق ويعقوب نافلة﴾** . ان معني النافلة الزيادة . وقد استوهب ابراهيم ربه غلاماً حليماً فوهبه إياه ، ثم ابتلاه برؤيا ذبحه ثم فداه بذبح عظيم ، ومادام أن الله قد سمى الابن الموهوب

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

نافلة ـ أى زيادة على ما استوهبه إبراهيم ـ باسحاق فان الابن الأول الذي لم يسمه الله ... هو اسماعيل بلا جدال .

● **الرابعة** : وإذا شئنا تأييدا لذلك من المراجع اليهودية القديمة فهذا بوسيفوس المؤرخ اليهودي يقول : (.. وكان إبراهيم قد بلغ ٨٦ عاماً حين ولد له اسماعيل ـ أى المسموع من الله ـ وبلغ ٩٩ عاماً حين بشره الرب بولد من سارة آمراً له أن يسميه اسحاق) .

● **الخامسة** : أن رجال القرن الأول الذين صاحبوا نبي القرآن ، وحفظوا القرآن على يده وفهموه ببيانه .. عرب أذكياء ، فهم إذن أوعى منا تحت أبناء القرن الرابع عشر ، الذين تشوب لساننا واذهاننا الشوائب لمعاني القرآن ، وقصص القرآن ، وأسرار القرآن .

وما نقول في رجال القرن الأول ومنهم أبوهريرة .. نقوله في رجال القرن الثاني ومنهم عمر بن العزيز ، مع فارق لا يمس الفهم العربي السليم في رجال القرنين ، وان كان يمس مكان الصحبة والسابقية بقليل أو كثير .

وإذن فابوهريرة متهم القرن الأول ، وعمر بن عبدالعزيز متهم القرن الثاني : بريئان من البلادة التي يظنها بهما جولد تسيهر أو من روى عنهم هذا الرأي يهوداً كانوا أو مسلمين .

وإذن فلا فضل لانكشاف تحريف اليهود لنصوص التوراة في تعيين الذبح إلاّ أن يكون ذلك بين اليهود أنفسهم ، لأنهم أعلم بما حرفوا ، ولأن المسلمين أعلم بما أنزل عليهم .

وقد جاء في دراسة تاريخية (للتوراة) نشرتها مجلة (الجامعة الاسلامية) أن من مظاهر عداء اليهود للعرب ولجدهم اسماعيل عليه السلام : حذفهم لتاريخ حياته من التوراة ، مقتصرين على ذكر ولادته وابعاده وهو صغير إلى برية (فاران) أي الحجاز .. وذلك محاولة منهم لتقوية زعمهم أن الولد البكر والذبيح : هو اسحاق جد اليهود .. لا اسماعيل جد العرب .

* * *

وبعد . فهذه جدالات سريعة لبعض ما استوقف نظري للنقد والتصحيح في كتاب جولد تسيهر سجلتها وأنا أقرأ فصول الكتاب شيئاً فشيئا .. وفوق كل ذي علم عليم .

حول كتاب (الفرقان) وتيسير الرسم العثماني

هذا الكتاب : كتاب « الفرقان » الذي وضعه الكاتب المصري الأستاذ محمد محمد عبداللطيف عن جمع القرآن وتدوينه ، وهجائه ورسمه ، وتلاوته وقراءاته ووجوب ترجمته واذاعته ـ كتاب ذو بال ، نَمَّ بصدق لهجته ، ووجاهة فكرته ، عن الغيرة الدينية في نفس واضعه ، على القرآن ، الذخيرة الوحيدة للمسلمين ، لما أحيط به من أعاجيب سخيفة في طرح موضوعاته وتأويل آياته .

وليس المقام بمتسع لسرد آراء المؤلف الانتقادية التي نسلم بأكثرها ، وحسبنا الآن أن ندعو إلى مثل ما دعا إليه ، من تنزيه القرآن الكريم عن كل ما يبعد به عن غرضه الأول ، وهو الهداية ، وعن كل ما يبعد به عن أساليب العربية الفصحى ، وحسبنا أيضاً أن ندعي ـ صادقين ـ أن هذا القرآن انما أنزل للفهم والتفهيم ، ولم يتزل للتلاوة والترنيم فحسب .

* * *

وقد بدت لي أثناء مطالعتي للكتاب مآخذ قليلة لا تغض من

قيمة الكتاب الفكرية ، ولا هي تغض من شأن الكاتب وما أداه للفرقان من خدمة الدفاع عنه ، والغيرة عليه :

● جاء في ص/٢٣ تفسيره لهذه الآية من سورة الاسراء ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾[1] بانها نهي عن التدخل فيما لا يعني ، وأن السمع والبصر والفؤاد ، مسئولة عن استماع الغيبة والنميمة والنظر إلى المحرمات والانطواء على الشرور .

ولا يبعد أن يكون هذا التفسير أحد الوجوه التي يحتملها اعجاز القرآن كما ورد : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » ولكنه ليس باحسنها ، بل ليس بحسنها . وإنما تفسيرها الأول والأولى بسياق الآية ومراد التنزيل أن نقول : إنها دعوة إلى الاستقلال في العلم والفهم ، ونهي عن التقليد فيما لم يمحصه السمع والبصر والفؤاد ، وانذار لهذه الحواس الثلاث بالمسئولية عن متابعتها التقليدية الضالة .. فلينظر المؤلف الفاضل أي التفسيرين أخلق ببلاغة القرآن ! ..

● وعد المؤلف من عنت القراء المحدثين وتحكمهم وتضييقهم على القارئين : انهم جعلوا في آخر المصحف تعريفاً للارشاد إلى الأحرف المزيدة للوصل والوقف والادغام والاشمام والاخفاء والامالة الخ ..

ونحن لا نرى رايه جملة واحدة ، فان إجادة الحروف ،

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٣٦ .

ومعرفة الوقوف في ترتيل القرآن : أمر واجب .

ولكنّا نذهب معه في إنكار الاشمام « الذي هو ضم الشفتين كمن يريد أن ينطق بضمة ، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق » ، ونتساءل معه عاجبين ما لزوم هذه الحركة التمثيلية التي يجب أن يرتفع عنها أسلوب القرآن . كما نذهب مذهبه في إنكار مد القراء مداً مسرفاً يصرف السامع ـ والقارىء أيضاً ـ عن مراد القرآن من تعليم وتأديب ، إلى التحفي بالترنيم والتنغيم . ونستأنس لذلك بما قاله حمزة أحد القراء السبعة لقارىء بالغ في الغنة : « أما علمت ما فوق البياض برص .. وما فوق القراءة ليس بقراءة ! » .

لا ألفـاظ أعجميـة في القـرآن :

● وتعرض المؤلف في (ص ٢١٢) إلى (ص ٢١٧) إلى الكلمات الأعجمية المدعاة في القرآن ، وزعم مزعم غيره ممن سلف إلى لفظة « حرم » في آية النور : ﴿**الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين**﴾ « معناها بالحبشية : وجب » .

وهذا الرأي غير صحيح لمانعين ، أولها : انه يجعل المؤمنين والمشركين والزانين سواء في حكم النكاح الوارد في الآية ، مع أن الآية جاءت للتمييز بين المؤمنين وبين المشركين والزانين في حكم هذا النكاح : وثانيهما أنه يناقض بين صدر الآية وعجزها مناقضة تجعل الآية ـ وحاشاها ! ـ لغوا . وهما مانعان منكران لا يجيزهما

مؤمن بالقرآن . لأن الوجوب عكس التحريم .

ثم أن مادة « حرم » بمشتقاتها في العربية أصيلة دليلة على « المنع » الذي هو مناسب لمورد هذا اللفظ في هذه الآية ، وموارد غيره من مشتقاته في جميع آيات القرآن .

وزعم المؤلف أن ﴿**يوماً يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به**﴾ من سورة المزمل معناها بالحبشية « ممتلئة به » .

ومالنا ولهذا المعني الحبشي الغريب ، المعارض لسياق الآية ومرادها ، ندعيه لأسلوب عربي فصيح ؟ وكيف ننكر مادة « فطر » ومشتقاتها الأصيلة في العربية الحفيلة ؟ وهل تمتلىء السماء بيوم القيامة الهائل ؟ وما صورة هذا الامتلاء ؟ أم هي تنفطر وتنشق وتطوى كطي السجل للكتب ؟ كما نص على ذلك القرآن نفسه في شتي آياته .[1]

● وزعم أن «كوّرت» في سورة التكوير معناها بالفارسية «غورت» . وحجتنا في إنكار أن يكون التغوير هو المقصود بالتكوير ، هي أصالة مادة «كور» في العربية ودلالة استعمالاتها الأخرى الكثيرة في القرآن على اللف والطي مثل قوله : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل »[2] .

● وزعم أن «سجدا» من سورة مريم : ﴿**خرّوا سجّداً وبكيّاً**﴾ معناها بالسريانية : مقنعي رؤوسهم . ونرد هذا الزعم بأن اقناع الرأس رفعه ، ونتساءل عاجبين : كيف نفهم هذا

---

(١) (في اخبار ابن عباس ان اعرابيين اختصما اليه فقال احدهما هذه بئري قد فطرتها)
(٢) سورة الزمر ، الآية ٥ .

التناقض بين الخر للخشوع إزاء تلاوة آيات الرحمن وبين رفع الرأس ؟ وهل يبكي الباكون وهم رافعوا رؤوسهم ؟!

● وزعم أن « راعنا » من قوله تعالى : ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا**﴾ : عبرانية الأصل ..

وقد تكون كذلك على التأويل الذي كانت يهود تضمره من ارادة قذف النبي عليه السلام بالرعونة ـ أى الطيش والحماقة ـ وباعتبار أن اللفظ وارد اسماً ـ وهو ما لا تستقيم به الآية سياقاً ومراداً ـ أما ما يريده القرآن وتستقيم به العربية ، وقد كانت يهود نفسها تراثي به : فهو أن « راعنا » وارد فعلاً من الرعاية وهي عربية الأصل أى تمهل وانتظر في تلاوة القرآن حتي نفهم منك .

وقد أشارت إلى هذا المعني تتمة الآية : ﴿**ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم**﴾وانظرنا بمعني راعنا ؛ ولكنهم كانوا يقصدون بها اسم الفاعل من الرعونة وهي الحماقة والسفه .

● وزعم أن (سَفَرة) من سورة عبس معناها بالنبطية « قراء » .. وهذا المعني النبطي قد يكون صحيحاً في لغته القديمة ، ولكن ارادته في تعبير القرآن غير صحيحة ، لأن الغالب من أوصاف الملائكة هو السفارة بين الله ورسله وحيا . وبينه وبين سائر مخلوقاته الهاماً وتدبيراً ، ولأن سياق الآية يعني ذلك بذاته : ﴿**كلا انها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة ، كرام بررة**﴾ فالله سبحانه يريد أن

يطمئننا بأن وحيه ـ القرآن ـ مرسل مع سفراء أمناء .

* * *

ويبدو من عتب المؤلف الفاضل (في ص ٢١٧) على مجمع فؤاد الأول للغة العربية لتعريبه الأسماء الأفرنجية ووصفه ذلك بالتعسف والتكلف ، ودعواه أن القرآن قد استعمل الألفاظ الأعجمية للمسميات العربية ـ يبدو من كل ذلك أنه يرى أن الألفاظ الأعجمية المدعاة في القرآن باقية بحروفها ومقاطعها الأصيلة وجرسها القديم . وهو رأي غير سليم .

ونحن نرى رأي الامام الشافعي رحمه الله : أنه ليس في القرآن لفظ أعجمي . ومع ذلك نسأل : لماذا لا تكون اللغات الأعجمية قد اقتبست هذه الألفاظ من العربية ؟ كما هو ملاحظ الآن في اللغات الفارسية والتركية والأردية من وجود كلمات عربية أصيلة في كلام شعوبها ؟ أو نقول أن العرب قد سبقوا القرآن إلى تعريبها .. أى وضعها في قوالب عربية وفاق الذوق العربي مع زيادة في بعضها وحذف من بعضها وتحريف لمعني البعض الآخر ، وبعد تشذيب وتهذيب تناولا اللفظ والمعني بحيث مرنت على استعمالها ألسنتهم وأذهانهم وأصبحت عربية بحكم هذه النقلة اللغوية المعروفة في أطوار اللغات عامة ـ ثم جاء القرآن بها على أنها من لغتهم التي يجيدونها نطقاً وفهماً ... والا لما صح أن يقال أن القرآن عربي ... ولما صح أن يفهمه العرب سراعا يومذاك .. وقد صح بحمد الله ـ أن القرآن عربي وأن العرب فهموه وعظموه .

وحسبنا شهادة القرآن نفسه بعروبة القرآن ألفاظاً ومعاني :

- **﴿انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾**[1] .
- **﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ..﴾**[2] .
- **﴿انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾**[3] .
- **﴿نزل به الروح الأمين ـ على قلبك لتكون من المنذرين ـ بلسان عربي مبين﴾**[4] .

* * *

هذا .. وقد كتب الأستاذ محمد محمد المدني في مجلة الشرق العربي نقداً لكتاب « الفرقان » للأستاذ محمد محمد عبداللطيف ـ قال : ان صاحبه ادعى التحريف والتصحيف في القرآن « نتيجة ضعف كتابة الأولين في الاملاء والهجاء .. » وانه انتقد القراءات المتعددة المخالفة للغة العربية والذوق العربي ، كما انتقد حضرات أصحاب الفضيلة « القراء » الذين يتخذون من تلاوة القرآن في الولائم والمآتم بالأنغام المحرفة والمدود المسرفة صناعة للمعاش ..

ولما كنت قد قرأت كتاب (الفرقان) من ألفه إلى يائه ، قراءة خالصة فاحصة . فانتهيت منه بموافقتي اجمالاً على رأي المؤلف في رسم القرآن المحرف ـ أي الرسم ـ والقراءات البهلوانية ، والقراء

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٢ .
(٢) سورة الرعد ، الآية ٣٧ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣ .
(٤) سورة الشعراء ، الآية ١٩٥ .

المحترفين ، ووجوب ترجمة ـ القرآن إلى اللغات الأخرى ، وإن كنت قد خالفته في بعض معقوله ومنقوله بالتفصيل .

وقد أسفت لقول الأستاذ المدني : أن المؤلف زعم التحريف والتصحيف في القرآن ، في حين أن الواقع أنه لم يزعمهمَا في معني القرآن ومبناه ، وإنما زعمهمَا في رسمه البدائي الذي لا يستقر على قاعدة ، وليست فيه حجة إلاّ تخرصات وتظننات وتمحلات القراء وكتاب القراءات .. رسمه الذي يورث الاستغراب والاستنكار في ذهن القارىء المتعلم ، ويورث الخطأ والخطل في لسان القارىء الجاهل » ويورث التناقض والارتياب بين حرف وحرف من حروف الآي .

القــراءات المتعــددة انتهت ضروراتها :

أما رأى المؤلف في مدود القراء ، وقواعدهم الترتيلية ، وحروفهم المختلفة .. التي تذهب بروعة المعني وحكمة المغزى ، من ترتيل الكتاب العزيز الحكيم ، وتصوِّر قراءها على هذه المدود والحروف في صور المتلاعبين فذلك رأى وجيه اعتمد فيه المؤلف مع ما أبدى فيه من عقل ، على نقل كثير من سلف العلماء ـ محدثين ومفسرين ـ كالقاضي الباقلاني والامام الطحاوي وابن عبدالبر ، الذين سبقوه إلى اعلان أن حكمة هذه القراءات المتعددة قد انتهت بانتهاء اللهجات العربية المتباينة ، ونسخت بزوال العذر ، وتيسر الحفظ وامكان الضبط وتعلم الكتابة .

كما اعتمد في القول بضرورة الغاء الرسم العثماني لما فيه من

اضطراب واختلاف وتناقض يورث ـ كما اسلفت ـ خطأ اللسان وبلبلة الأذهان. وأقرب الأمثلة على ذلك رسم هذه الآية الواحدة ﴿**لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأَأْذْبَحَنَّهُ**﴾[1] حيث زيدت ألف مهموزة بعد الألف الملصقة بلام التأكيد مما يوهم أن (لا) نافية مع أن الكلمتين متساويتان في معني التأكيد أو القسم.

أقول أعتمد في ذلك على آراء سالفة لأمثال السيدة عائشة وابن عباس رضي الله عنهم، وابن خلدون أيضاً فقد قال هؤلاء من قبل: بخطأ أو ضعف الكتاب الأولين للمصحف في الاملاء والهجاء. وقال ابن خلدون خاصة: أن اقتفاء التابعين لهذا الرسم إنما كان على سبيل التبرك!

ترجمة معـاني القـرآن: واجبـة..

ثم ماذا تقول في وجوب ترجمة معاني القرآن ـ أحكامه وقصصه وآدابه ـ إلى لغات المسلمين غير العرب؟ هل تعارض في حتمية ذلك؟ وهل تنكر أدلتها من القرآن والحديث؟ وهل تجد حجة في دعوى إمكانية نقل غير العرب إلى العربية. والا فلا تبليغ. ولا حاجة إلى اسلامهم وتبليغهم أحكام القرآن؟ أم أنهم مسئولون عن الاسلام وتعلم أحكام القرآن، وهم لا يطيقون اللسان العربي فهما ونطقاً: وكيف ترى رأي الأمامين ابن حجر والزمخشري وغيرهما في وجوب الترجمة؟.

بل كيف ترد على المصلحة الاجتماعية الاندونيسية «رادين

---

(١) سورة النمل، الآية ٢١.

كارتيني » وهي تتحدث عن قلة الوسائل التي تعين الاندونيسيين على حسن تفهم الاسلام وتقول كيف ترسخ محبة ديننا في نفوسنا إذا كنا نجهله .. « فالقرآن لا تجوز ترجمته لأنه كتاب مقدس ، ويجب أن يبقى باللغة العربية التي نجهلها ، فنضطر إلى تلاوة القرآن دون أن نفهمه .. وهذا جهد ضائع ولا شك » ؟!

مشكلات الرسم العثماني ..

ولعل من الخير أن نعود لاتمام ما بدأ به الأستاذ عبداللطيف حول الرسم العثماني ..

أولاً : بالنظر إلى خط المصحف الشريف ، نرى العجب العجاب من مفارقات في الكلمة الواحدة تكتب في موضع على صورة غير ما تكتب به في موضع آخر .

● نقرأ في سورة الشعراء « الئيكة » هكذا ونقرأها في سورة « ق » (الأيكة) على رسمها الصحيح .

● و « الجنة » نقرؤها هكذا صحيحة الرسم في سائر آيات القرآن ونقرؤها برسمها الآخر في سورة الواقعة : « جنت نعيم » .

● و « لعنة » نقرؤها في سورة آل عمران مرة « لعنت » هكذا بالتاء المفتوحة ومرة أخرى في نفس السورة على راسمها الصحيح .

● و «نعمة» وردت مرة بالتاء المفتوحة وأخرى بالتاء المربوطة .

● « إصلاح » وردت في سورة البقرة باثبات الألف ، وفي سورة النساء بحذفها هكذا « إصلح » .

● ومثلها كلمة « احسانا » جاءت برسمها الصحيح في سورة البقرة ، وفي سورة النساء جاءت برسمها الآخر « احسٰناً » .

● وكلمة « جزاء » جاءت في سورة المائدة صحيحة الرسم ، بينما وردت مرة أخرى وفي نفس السورة بحذف الألف الأصلية وإضافة ألف في آخرها « جزؤا » .

● وفي سورة النحل وردت كلمة « شيء » هكذا برسمها الصحيح ، ووردت في سورة الكهف هكذا « شاى » .

● وفي سورة الأعراف نجد « قال ابن أم » في صحتها الاملائية ، وفي سورة طه نجد بهذا الرسم الغريب «قال يبنؤم» .

● وفي سورة القصص نقرأ « نبأ » على إملائها الصحيح ولكنها في سورة الأنعام تأتي هكذا « نبإى » .

● وأعجب هذه المفارقات جميعاً التي لا دليل من عقل ولا نقل عليها أن ترد آية « لأعذبنّه أو لأَذْبحنه » في سورة النمل .. مزيدة الكلمة الثانية منها ألفاً هكذا « لأاذبحنه » مما يدعو إلى الالتباس على القارىء حتي ليكاد يقرأها منفية المعني . وهو غير المراد . وقد علل بعضهم زيادة الألف في الفصل الثاني بأنه إشارة إلى أن الذبح لم يحدث ، ونسي حضرته أن التعذيب لم يحدث كذلك ..

وهكذا لا نجد إلاّ أمثال هذه العلل الواهية التي تتشبث بها عقول الجامدين ! !

ثانياً : يلاحظ المتتبع لتأريخ كتابة المصحف أن التطور والارتقاء قد نالاها مراراً :

● فقد كان القرآن الكريم في عهد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام مفرقاً في العسب واللخاف وصدور بعض الصحابة الفضلاء . وتوفي النبي والقرآن على حاله هذه ، إلى أن كانت واقعة اليمامة التي استحر القتال فيها بكثير من القراء . وهنا خشي سيدنا عمر بن الخطاب ضياع القرآن ، بضياع قرائه ، وتحدث في ذلك إلى سيدنا أبي بكر - رضي الله عنهما - وزيد بن ثابت فقرروا جمعه ، وتم جمعه في صحف مكتوبة ..

● ثم اختلف الناس في قراءة القرآن - على عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه - حتي اقتتل المعلمون والغلمان بالمدينة ، وقد كانوا يقرأونه بلغاتهم المتعددة ، فجمعهم عثمان مستنكراً ما فعلوه وقال : « أعندي تكذبون به ، وتلحنون فيه ! فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً .. يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً » .

وكانت نتيجة ذلك أن جمعت الصحف .. وأعيدت كتابة المصحف على لغة قريش وحدها ، لأن القرآن إنما أنزل بها أولاً ، ثم أبيحت قراءته باللهجات العربية الأخرى توسعة على القبائل المختلفة ، ورفعاً للحرج والمشقة ، ثم لما حدث هذا الخلاف ،

واعتدلت الألسنة على لهجة قريش ، رؤى أن الحاجة إلى تلك التوسعة قد زالت إلى غير معاد .

● ثم لما امتدت الفتوحات الاسلامية في غرب البلاد وشرقها ، واختلط العرب بالأعاجم ، فسد اللسان العربي شيئاً ، وظهر اللحن والتحريف في تلاوة القرآن لكونه مكتوباً بلا إعجام ولا شكل إلاّ قليلاً . وهنا أشفق المسلمون من تحريف ألفاظ القرآن الكريم .. ووضع أبو الأسود الدؤلي ـ من التابعين في عهد معاوية ـ علامات بالمصحف بلون يباين الذي يكتب به ، وجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة أسفله وعلامة الضمة من الجهة اليسرى ، والتنوين نقطتين ..

● وجاء عبدالملك بن مروان .. وأمر الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم ويحيي بن يعمر ـ من تلامذة أبي الأسود ـ بوضع نقط الأعجام بنفس الصيغ الذي كان المصحف يكتب به ، لتمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض . كالباء والتاء ـ والحاء والجيم ـ والدال والذال ..

● ثم اخترع الخليل ابن أحمد الشكل المستعمل الآن في المصحف ، إزالة للاشتباه الذي يقع أحياناً بين نقط الاعجام ونقط الشكل ، وان كانتا تكتبان بلونين مختلفين فجعل الضمة واواً صغيرة ، والفتحة ألفاً صغيرة والكسرة ياء صغيرة وجعل الشدة رأس شين ، والسكون رأس خاء ، وهمزة القطع رأس عين ، وقد أتي بعد الخليل من أصلح هذا الشكل حتىٰ صار على

صورته المعروفة اليوم ، وحدث بعد ذلك أن زيد بهامش المصحف بيان أجزائه وأحزابه وسجداته وسكتاته ..

ثالثاً : يقول ابن خلدون «كان الخط العربي ـ لأول الاسلام ـ غير بالغ إلى الغاية من الأحكام والاتقان والاجادة ، ولا إلى التوسط ، لمكان العرب من البداوة وبعدهم عن الصنائع .. وانظر ما وقع ذلك من رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة الاجادة ، فحالف الكثير منها ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً .. كما يقتفي لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركا .. ويتبع رسمه خطأً أو صواباً ! » .

رابعاً : نقل عن الامام مالك : أنه أجاز كتابة المصحف للصغار بالاملاء العادي ليتمكنوا من قراءته وحفظه ، كما ذهب شيخ الاسلام العزيز بن عبدالسلام والقاضي أبوبكر وابن خلدون إلى جواز ذلك .

خامساً : يقول الأستاذ عبدالعزيز قاري ـ المدرس في الجامعة الاسلامية : أن السلف رحمهم الله لما منعوا من مخالفة الرسم العثماني في كتابة المصحف لم يريدوا أن يترتب على ذلك اثم ، وانه يجب كتابة القرآن في الرسائل المصنفات بالكتبة الأولى .. فان معني ذلك انه فرض عين ، وذلك يحتاج إلى دليل ، ولا نص عندنا أصلاً يدل على وجوب كتابة المصحف كما كتبه عثمان رضي الله عنه ، كما لم يثبت بشكل كاف للاستدلال به على أن

الرسم توقيف من النبي ﷺ ، ولو ثبت لما بقي إشكال في المسألة[1] .

والآن فهل ـ بعد أن ثبت أن القرآن نزل ملفوظاً لا مكتوباً ـ يجد عاقل أو مفكر أو حريص على اتقان تلاوة كتاب الله العزيز برهاناً من عقل أو من نقل على فرضية بقاء الرسم القديم للقرآن الكريم ؟!

ما أحوج المسلمين اليوم ـ وفي مقدمتهم العلماء والفقهاء والمفتون ! ان يتمسكوا بمعاني القرآن ومبادئه وتعاليمه لترفعهم من ذلة ، وتشفيهم من علة . وما أقل جدواهم من اتقان القرآن تلاوة وترنيماً بالقراءات السبع أو العشر ، والحفاظ على رسمه القديم كرمز مقدس !! إذا كانوا عن حدود القرآن ومحامده في غفلة وهجران ..

صغارنا كيف يتعلمون القرآن ؟

صغارنا مساكين ! مساكين ! وذلك لأنهم ـ أولاً ـ قلما يجدون في بيوتهم من يعينهم على الدرس والمذاكرة ، ولأنهم ثانياً ـ في الأغلب ـ على غير بينة مما يتعلمون ..

أما عن المشكلة الأولى فأكثر أوليائهم معذرون بما وراءهم من واجب العمل للمعاش ، وآخرون منهم أميون لا يجيدون القراءة والكتابة والحساب . وأما عن المشكلة الثانية ...

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٣هـ .

فالمدرسون ، الجنود المجهولون ــ معذرون أيضاً ، يضيق الزمن وسعة المنهاج ، ومعذورون كذلك بكثرة العيال وقلة المال !!! ومعذورون أخيراً بأعجمية بعضهم واضطراب ألسنتهم في العربية ..

ولست اليوم بشأن أن آتي على جميع أطراف مشكلة التعليم فادرسها وافترض لها الحلول[1] ، ولكني بصدد طرف واحد منها يبدو ــ لي على الأقل ــ أنه أهم أطرافها وأجدر بالتقديم في الدرس والعلاج ذلك هو اقراء القرآن .

* * *

وباختصار أقول : إني استحسن أن يعلم القرآن لطلاب المرحلة الابتدائية على الرسم العام المعروف في كتابة الكتب والصحف والمجلات ؛ فذلك أسلم لهم من الاضطراب بين ما يتعلمونه في هذه الفترات خلال الدروس الأخرى من قواعد الاملاء العام ، وبين ما لا يعرفون قواعده من رسم القرآن .

حتي إذا انتهت المرحلة الابتدائية ، على علم جيد بالاملاء العام قرىء المصحف عليهم برسمه الخاص مع افهامهم قواعده ومقاصده في هذه الفترة التي اعتقد أن اذهانهم فيها ستتفتح للتخلص في فهم رسم المصحف ، كما تفتحت من قبل للتخلص في فهم الاملاء العام .

(١) تناولنا ذلك في كتابنا : (نحو تربية إسلامية) .

أما أن نعلمهم ـ خلال الدروس الأخرى ـ أن يقرأوا أو يكتبوا (قال) و (الصلاة) و (وجنة) و (عاقبة) و (آيات بينات) و (ثمانية) و (سالمون) و (ايمان) و (الايكة) هكذا كاملة الحروف ثم يجدونها في المصحف : (قل ، والصلوة . وجنت ، وعقبة ، وآيت بينت ، وثمنية ، وسلمون ، وايمن والئيكة) ـ فذلك أسلوب تعوج به شفاهم ، وتضطرب عليه أفواههم ، ويتحيرون بين الرسمين ومن ثم يسوء اليوم وغدا املاؤهم ، وانشاؤهم ، والقاؤهم على سواء[1] .

* * *

على اننا لا نريد أن نعمم رسم المصحف بالاملاء العام بين جميع الطبقات وإنما ينبغي أن يكون ذلك خاصاً بالمرحلة الابتدائية وحدها ، فلا يقولن قائل أن رسم المصحف بالاملاء العام فيه بلبلة للعقيدة واضاعة لتقليد مأثور .

وإنما نريد أيضاً أن نسير مع الزمن السائر الذي لم تعد سلائق العرب فيه سليمة فهيمة ، صحيحة فصيحة ، كما كانت حين أنزل القرآن ثم كتب في صحف ثم في مصاحف .

ولدينا قبل ذلك وبعده مندوحة فيما نريد من اصلاح التعليم ، بل منادح ، فنستطيع (أولاً) أن نقول مع القائلين القدامي .. أن

(١) حتي الذين اتموا دراستهم الجامعية يخطئون في تلاوة آيات القرآن والفاظه نتيجة للدراسة الاولى ـ كما اسلفنا .

رسم المصحف اصطلاحي وليس بتوقيفي فيجوز خلافه ولو في حدود ضيقة ـ كما اسلفنا ـ لأن الله تعالى لم يفرض رسم عثمان بنص من قرآنه ولا بنصٍ من حديث رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولا مظنون منهما ، ثم ليس في اجماع الأمة وقياسها ما يوجب ذلك ، ويدل عليه « بخلاف القراءة بغير لغة مصحف عثمان فقد منعها الجمهور » .

ونستطيع (ثانياً) : أن نكون مع ابن خلدون والقاضي أبي بكر فيما ذهبا إليه في (المقدمة) و (الانتصار) من جواز ذلك وضرورة العمل به ..

ونستطيع (ثالثاً) : أن نرى رأى الامام عز الدين ابن عبد السلام من وجوب كتابة المصحف لعامة الناس . على الاصطلاحات المعروفة في عهدهم لأن كتابته بالرسم العثماني الأول يوقع الجهال في تغيير واختلاط ، على أن يحتفظ الخاصة من علماء الأمة بمصاحف عثمانية كأثر نفيس موروث عن سلف عزيز .

* * *

حــول كتاب (عن القـرآن)

الأستاذ محمد صبيح كاتب مصري معروف ، وليست سلسلة كتبه الشهرية التي كان يصدرها عن سير النبيّ ﷺ وخلفائه والعلماء الأجلاء بعيدة عن الأذهان . وكتابه (عن القرآن) كتاب نفيس قرأته حين صدوره ، وبدت لي يومذاك ملاحظات .. أحببت أن أعرضها وأعقب عليها برأيي تمحيصاً للبحث ، ونشداناً للحقيقة وطلباً للحق فيما اختلفنا عليه :

لا ترادف في كلمـات القـرآن :

● **يقول الأستاذ محمد صبيح في (ص ٨) : ان ابن الخطاب سئل عن (الأبّ) في قوله عز وجل : ﴿وفاكهة وأبا﴾** فأجاب : نُهينا عن التكلف . وقد ذكر المفسرون أن الأب هو المراعي ، ولكني سمعت الأستاذ شاده : أن (أبا) كلمة حبشية معناها الفاكهة .. أى أن الآية ذكرت الكلمة العربية وما يرادفها بالحبشية تأكيداً وتثبيتاً للمعني المراد :

والذي يبدو من استدراك الأستاذ صبيح بقوله : ولكني سمعت من الأستاذ شاده » ، وتفسيره لرأيه في ترادف الكلمتين

لمعني واحد على طريق التأكيد أن الأستاذ صبيح مقتنع برأى شاده من جهة ، ومن جهة أخرى ذاهب مذهب القائلين بالترادف في ألفاظ القرآن ، والقائلين أيضاً بوجود كلمات غير عربية بين الفاظه .

وجدالنا له من هذين الوجهين :

● **أولاً** : يقول اللورد افيري في كتابه : « محاسن الطبيعة » أن أنواع النبات على الأرض تبلغ (٥٠٠,٠٠٠) نوع ، منها ما هو للملبس ، وما هو للدواء ، وما هو فاكهة لبني آدم ، وما هو مطعوم البهائم الخ .. ويقول الشيخ طنطاوي جوهري ، في تفسيره (الجواهر) الذي يعد أبلغ حجة في هذا الباب ، لأنه يكاد يكون مقصوراً على مباحث العلوم الطبيعية في القرآن : (إن الآية فيها مطعوم البهائم والآدميين ... فوجب أن نحلل من كل واحد منها نوعاً لنعجب من أجزاء اجتمعت بمقادير خاصة وكونت شيئاً يصلح تارة للبهائم وتارة للانسان وتارة لها معاً فاذا حللت ألف جرام من القمح وجدت النشاء فيه (٦٦٢) ج ، وملح النوشادر (٦٠) ج وكبريت العمود المائي (٣,٤٩) ج والبوتاسا الكاوية (٦,٦) والمانيزيا (٢,٣) ج والزيت الصافي (١٥) ج وأجزاء أخرى كالصوديوم ومتي جمعت كلها بلغت ألف جرام . وأغلب هذه المواد في (الأب) بمقادير تخالف هذه ، فيدخل النشاء في ألف جرام منه بمقدار (٣٩٣) ج والمعتاد (٤٤) ج الخ الخ) .

هذا ما يقوله « علم النبات » عن « الأب » لاثبات أن الأب نبات من النباتات : فاذا اسندناه بإجماع أكثر كتب اللغة

(كالقاموس والمصباح والمختار) على أن «الأب» نبات، وأن اختلفت في قول بعضها بأنه مرعى أو كلأ، أو مازرعته الطبيعة للبهائم - استوت لنا حجتان لا نفهم بعدهما كيف يجيز الأستاذ صبيح لنفسه أن يرى رأى شاده في أن «الأب» بالحبشية معناها الفاكهة، وأن الكلمة، وردت مورد الترادف للتأكيد!!.

● **ثانياً**: إذا أصر الأستاذ صبيح على ذهابه مذهب القول بالترادف في ألفاظ القرآن، واستأنس أو استدل بكلمتي: «اللهو واللعب» الواردتين فيه وله في ذلك سلف من المفسرين الأقدمين - فردنا عليه وعليهم: أن الترادف في ألفاظ القرآن مع العطف بالواو كالمثلين السابقين: غير وارد وغير صحيح ونستطيع أن نفسر لهؤلاء «اللهو واللعب» تفسيراً لغوياً يمنع هذا الترادف المزعوم.

فاللعب يأتي دائماً للعبث والتطريب والتضحيك، وأمثلة ذلك محسوسة في واقعنا، قبل أن تكون مروية في أقوال وأمثال.

ولكن اللهو الغالب فيه أن يكون كاللعب، فكل لعب لهو لأنه ملهاة لصاحبه عن ما يطلب منه من عمل أو ذكرى، وليس كل لهو لعباً.

فمن اللهو: ما يكون صارفاً لصاحبه بالتجارة والحرص على جمع المال عن أعمال البر أو العبادة. ومنه ما يكون صارفاً لصاحبه بالنساء والبنين عن الخدمات الوطنية والاجتماعية.

وعلى ذلك يكون معنى اللهو: الانشغال، سواء أكان بشاغل

مسعد أو مشتق ، أو شاغل مضحك أو مبكي ! !

واذن فلا ترادف في اللهو واللعب ، كما لا ترادف في الفاكهة والأب ، ولا ترادف أيضاً بين : ﴿**لم يجعل له عوجا**﴾ وبين (قيماً) في سورة الكهف ـ فالوصف الثاني يعني القوامة والهيمنة .. ولا يعني الاستقامة كما زعم الزاعمون .

وحاشا القرآن أبلغ كتاب : أن يكون فيه .. ما يعاب على الشعراء والكتاب .

على أن توقف عمر رضي الله عنه عن فهم معني « الأب » لا يعطي الزاعمين بأن في القرآن ألفاظاً غير عربية أية حجة .. فقد حدث لابن عباس رضي الله عنهما مثل ذلك . وهو ترجمان القرآن . واعترف هو نفسه فقال : كنت لا أدري ما ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ حتي اختصم أعرابيان عندي في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها . أى بدأتها .

● **ثالثاً** : ليس في القرآن ألفاظ أعجمية كما يقول الامام الشافعي في (الرسالة) : ليس في كتاب الله شيء إلاّ ـ بلسان العرب .. وهو أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ولا يحيط بجميع علمه .

كلمات القرآن : عربية الأصل :

● **وقال في ص (١٠١) : «وعبر عن القرآن أيضاً بأنه آيات الله . وكلمة آية في الرأى الراجح عبرية لأنها تشبه الكلمة العبرية (OT) ومن معانيها المعجزة .. وكلمة سورة تشبه**

(Sura) وهي بنفس المعني » وأشار الأستاذ صبيح في الهامش إلى تعليقات (سيل) في مصحفه مما يدل على أنه استقي هذا الرأى منه .

وهكذا للمرة الثانية يتأثر الأستاذ صبيح برأى المستشرقين في تفسير بعض ألفاظ القرآن . وقد كان يسعه أن يرجع إلى معاجم اللغة العربية ليستنبط أصول هاتين الكلمتين ، بل كان يجب عليه ـ لكتابه ولغته ـ أن يرد ألفاظها إلى أصولها العربية القريبة ، لا إلى أشباه غريبة فذلك ألزم للقرآن لأنه أنزل بلسان عربي مبين ، وألزم للغة لأنها صاحبة الحق فيه ..

فان معاجمنا اللغوية تكاد تجمع على أن (الآية) معناها العلامة ، أو الشخص ، أو العبرة .. والآيات القرآنية : علامات وأشخاص وعبر : علامات لما فيها من معالم الحق والخير والجمال ، وأشخاص لأن معانيها المعجزة شواخص للذهن المتملي وللبصر المدرك ، وهي ـ كذلك ـ عبر لما فيها من قصص وأمثال يتعظ بها المؤتمر والمزدجر على سواء .

وتكاد تجمع أيضاً على أن « السورة » معناها المنزلة ، وسور القرآن منازل بمعني مقامات ، مقام بعد مقام ، أي مراحل من الوحي الإلَهي الرفيع بل الأرفع ..

أو هي مخففة من (السؤرة) بمعني البقية ، أي أن كل سورة من القرآن بقية من الوحي الإلَهي ، ومجموع هذه البقايا هو القرآن الكريم ..

أو هي من (السور) لأن كل سورة محيطة بآيات معدودة

تبتدىء ببداية خاصة ، وتنتهي بنهاية خاصة ..

* * *

ونحب ـ هنا ـ أن ننقل رأي العلماء القدامي عن وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم ، أو عدمه ..

بالرجوع إلى (الرسالة) للامام الشافعي ، ومقدمة تفسير الامام الطبري ، وكتاب (التقريب) للقاضي أبي بكر بن الطيب ، وكتاب (البرهان في علوم القرآن) ـ للامام الزركشي ، وإلى آراء بعض أئمة اللغة العربية كأبي عبيدة ، وأبي الحسن بن فارس ـ نجدهم جميعاً يتفقون على أنه ليس في القرآن غير العربية .. لأن الله جعله معجزة شاهدة لنبيه ﷺ ، ودلالة قاطعة لصدقه ، وليتحدى به العرب العرباء ، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته .

ومما قالوه : أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، واستدلو بالآيات التاليات :

- **﴿انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** .
- **﴿انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** .
- **﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون﴾** .
- **﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾** .
- **﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾** .
- **﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾** .

● **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾** .

على أنهم لا يمنعون وجود أعلام أعجمية في القرآن : كنوح ـ ولوط ـ واسرائيل كما يرى الطبري : « انه لا يجوز أن يعتقد مسلم أن بعض القرآن فارسي أو نبطي أو رومي أو حبشي بعدما أخبر الله تعالى أنه جعله قرآنا عربيا » .

ولو أن العرب العرباء الذين استمعوا إلى القرآن .. وجدوا فيه حرفاً واحداً من غير العربية لكان لهم حجة في الطعن عليه ، ولقالوا : أن محمداً يخاطبنا بغير حروفنا أو بغير ما نعرف من كلام . ولكنهم افتقدوا هذه الحجة فلم يجدوا أمامهم إلاّ أن يتهموا القرآن بأنه : سحر ، أو شعر ، أو أساطير الأولين .

هذا ـ ولا يمنع كون القرآن عربياً : أن تكون هناك لفظة أو كلمة منه معروفة ومستعملة عند أمة أخرى ومتداولة في لغتها ، وتكون بذلك مشتركة بين العربية وبين غيرها من اللغات ، أو تكون تلك اللغات اقتبستها من اللغة العربية .. كما هو مشاهد وملحوظ ـ الآن ـ في لغة الفرس والهنود والترك من وجود ألفاظ عربية في لغاتها أصبحت أصيلة فيها وشائعة .

* * *

● وروى في ص (١١٠) عن الطحاوي أن رجلاً قرأ بين يدي ابن مسعود « طعام الأثيم » فلم يستطع نطق الألف فقال :

« اليثيم » فردها عليه ، فلم يستقم لسان الرجل بها فأقرأه بدلها : « الفاجر » .

وأمثال هذه الرواية عن ابن مسعود « كثيرة » وقد اسلفنا رأينا فيها في نقدنا لكتاب جولد تسيهر عن مذاهب تفسير القرآن بما يغني عن الاعادة والتكرير . وانما الباعث على وقوفنا عند هذه الرواية هنا أمران أولاً : عجبنا من صمت الأستاذ صبيح عن التعليق عليها بمثل ما يعلق على أشباهها من آراء قديمة وحديثة لم ترقه ، وثانياً : سؤال يتردد في النفس منذ أن اطلعنا على هذه الرواية في غير كتاب الأستاذ صبيح .

وقد آن أن نسأل هذا السؤال ليتفضل الأستاذ صبيح بالجواب عليه ، أو غيره إن شاء .

هل أقرأ ابن مسعود ذلك الرجل العاجز لسانه عن نطق الألف في : « الأثيم » كل كلمة فيها ألف ، أو كل كلمة تلت فيها الألف ثاء ــ بكلمة أخرى فقال « الفاجرين » بدل « الآثمين » و « الفجور » بدل « الاثم أو الأثام » أم أن الرجل عجز عن النطق بالاثيم فقط ؟ هاتوا برهانكم يا هؤلاء الذين تروون ولا تفصحون . والصحيح : أن ذلك كان تفسيراً من ابن مسعود للأثيم بالفاجر .

* * *

● وقال في صفحة (١٢٠) أن الأقدمين فطنوا إلى وجود ألفاظ

غير عربية في القرآن ـ وروى في نفس الصفحة خمسين لفظة أرجعها إلى أصلها في اللغات الأخرى .

وقد ألفينا من بينها ألفاظاً ـ وإن كان لها أشباه في اللغات الأخرى ـ إلاّ أن ارجاعها إلى أصولها العربية أنسب وأقرب ، بل أحق وأصدق .

من ذلك « دُرِّيٌّ » قال إنها (مضيء) بالحبشية و « هونا » أي حكماء بالسريانية و « أخلد » عبرية و « أليم » زنجية و « بعير » عبرية و « ناشئة » حبشية ..

ولو رجع الأستاذ إلى اللغة العربية لوجد فيها أصول هذه الكلمات صحيحة فصيحة ، ولوجدها في القرآن أصح وأفصح دون أن يمنع أشباهها في اللغات الأخرى ، ودون أن يذهب مذهب الذين يحاولون أن يثبتوا عالمية القرآن ، فلا يجدوا دليلاً غير ارجاع بعض ألفاظه إلى بعض لغات العالم ، مع أنها أصيلة في لغته ، ومع أنهم واجدون ـ لو فكروا وبحثوا ـ أدلة غير هذا الدليل لاثبات دعواهم ، ولكنهم تناولوا القريب ، فأتوا بالغريب ! ! .

* * *

● وأورد المؤلف رواية السيوطي أن اللهو بلغة اليمن « المرأة » وعلى هذا تفهم الآية : (لو أردنا أن نتخذ لهوا) . ونحن لا نعارض أن يكون اللهو في لغة اليمن المرأة ، ولكن نعارض أن

يكون نفس هذا المعني هو المقصود من هذه الآية التي جاءت في سياق بعيد عن ذكر دعوى المشركين لله صاحبة وولدا : ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**﴾[1] .

وهكذا حاول اولئك اثبات عالمية القرآن بمثل هذه التعاسير ـ ولا نقول التفاسير ـ فكانوا كمن قيل فيهم هذا المثل : « أراد أن يعربه فأعجمه » .

ويؤسفنا أن بعض كتب التفسير القديمة والحديثة أوردت هذا الزعم . وسياق الآيات كما أسلفنا لا يؤيده ، وإنما نفي (اللهو) هنا تأكيد لنفي (اللعب) في الآية السابقة .

* * *

● وقال الأستاذ صبيح في ص (٥٣/٥٤) من كتابه أن قريشا اصطنعت وسيلة أخرى لوقف سيل القرآن الجارف ، فنظرت إلى النضر بن الحارث ، فوجدته فطنا ذكياً ، قد طاف ببلاد فارس ، وحفظ أخبارها ، وتعلم أشعارها .. فكان إذا قيل أن النبي يتلو القرآن في المسجد الحرام ، قام هو يقص أساطير الفرس . ولذا قال ابن عباس أن هذه الآية : ﴿**اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**﴾ نزلت في النضر ، وآيات أخرى من القرآن .

وقيام النضر في المسجد أو غيره بمعارضة القرآن لا نكير فيه

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان ١٦ و ١٧ .

من حيث واقعه التاريخي . ولكن النكير في كون أن هذه الآية نزلت فيه .

وذلك بحجتين :

● **إحداهما** : أن هذه الآية وأمثالها في القرآن وردت كلمة « أساطير » فيها مرفوعة على أنها مقول القول ـ والقول لا ينصب الا جملة كما يقول النحاة ـ لمبتدأ محذوف تقديره : « هي أو تلك أو هذه » وتفسير ذلك أن المشركين كانوا إذا استمعوا إلى شيء من القرآن أعرضوا عنه ، وقالوا عنه إنه أساطير الأولين ، أى خرافاتهم وأقاصيصهم ..

وقصة النضر كما يرويها الأستاذ صبيح عن ابن عباس تقتضي نصب أساطير وتضمين « قال » معني أنشد أو حكى أو التي أو تلا ، وهذا ما لا نعلمه في القراءات السبع ولا العشر ، ولا الأربع الشواذ .

● **الحجة الثانية** : أن هذه الآية : ﴿**إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**﴾ ـ على الرواية الراجحة ـ إنما نزلت في الوليد بن المغيرة ، وهي مربوطة بما قبلها ربطاً قوياً : ﴿**ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**﴾ وقد عرف تاريخنا ـ عن الوليد انه كان ذا مال وبنين ، كما تشير إليه هذه الآيات وآيات أخرى في سورة المدثر ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا** ..﴾

الآيات .

وهناك آيات متعددة تحكي عن الكفار مثل هذه الزعمة منها :
﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ..**﴾[1] .

معنىٰ الأمي .. والأميين :

واورد المؤلف في ص (٨٥) رأى بعض المستشرقين في معني الأمية التي وصف القرآن بها نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام . وهو أن المراد (بالأمي) المبعوث إلى الأمة ، ثم قال ما معناه أنه لو صح مذهب المستشرقين هذا فماذا يراد من كلمة : « أميين » الواردة في هذه الأمة ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا**﴾ وقال أيضاً أن أمياً يبعث إلى أميين أمر غير مفهوم بهذا المعني الملتوي وإن كان ذلك لا يمنع من القول بأن كلمة « أمي » من الاصطلاحات القرآنية التي لا تفهم دلالتها اللغوية فهما دقيقاً الآن ..

والمسألة ليست عسيرة ، إلى هذا الحد الذي جعل الأستاذ صبيح يتحدث عنها حديثه .. في شيء غير خفي من الرهبة والريبة .

فان معنىٰ « أم » ـ في جميع كتب اللغة ـ أصل ، وتفصيل ذلك ، أو التمثيل له يعرض ويطول . وليس هذا مقامه . وانما بحسبنا أن نقول : اطلاق كلمة (الأميين) على العرب كان مفهوماً منذ بعثة النبي ، بل قبلها فقد كان أهل الكتاب ـ اليهود

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥ .

والنصارى ـ يصفونهم بهذا الوصف[1] . ويعنون به أنهم لا يقرأون ولا يكتبون ، فهم على أصل فطرتهم بداة جفاة ، ليس لديهم نبي ولا كتاب .

ويقال أن العرب ـ فيما بينهم ـ كانوا يطلقون كلمة « الأمي » على الجاهل بالكتاب والحساب ، نسبة إلى أمه على معنى أنه باق على ما ولدته أمه من الجهل .. وترفعاً بأبيه عن وصف الجهالة الذي لا يليق بالرجال .

وعندنا اليوم في الحجاز وفي بعض الأقطار العربية عادة تعبير الفتي أو الفتاة بأنهما (تربية امرأة) إذا لوحظ عليهما الجهل وانحطاط الأخلاق .

وهذا شيء مفهوم من دراسة علاقة اللغة بالمجتمع ، بلا عناء كبير .

واذن فكلمة (أمي) صحيحة في اللغة بالمعني الذي فصلناه ، وبالمعني الذي ذهب إليه بعض المستشرقين وتفسير ذلك على المعني الأول : إنه نبي أمي من قوم أميين ، وهذه نسبة جنسية فحسب ، وعلى المعني الثاني انه نبي أمي مبعوث إلى أمته الأميين ، وهذه نسبة تشير إلى أن النبي مبعوث من أمته إليها ، أى أنها نسبة تعلقت بالبعثة ، كما تعلقت النسبة الأولى بالجنس ، وبعبارة أوضح تقول : انه أمي بمعني نشأ في قوم أميين ، أو أمي بمعني أنه

---

(١) في قوله تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾ من سورة آل عمران .

بعث في أمته الأميين .. وزيادة في التوضيح نقول أن النسبة الأولى آتية من نفسه ، والنسبة الأخرى آتية من بعثته إلى جنسه[1] .

دعوى أن القرآن من انشاء محمد :

* وقال في ص (١٤٤) : (وفي البحوث الطويلة التي كتبها المستشرقون عن القرآن يكاد رأيهم يجمع على أن القرآن هو من انشاء محمد ، ويتحدثون عن أسلوبه على أنه أسلوب محمد عليه الصلاة والسلام) ثم أورد رأياً في ذلك جاء في كتاب «تاريخ الأديان» يعلل نسبة القرآن إلى النبي ، باختلاف ما أنزل عليه في أول عهده بالدعوة عما أنزل عليه في نهايتها من حيث قصر العبارات واللهجة الشديدة في تقرير أوصاف الثواب والعقاب وتكرير الآيات في ذلك ، في العهد الأول وهدوء النغمات ورواية قصص الأنبياء والغرام بجدل اليهود والنصارى .. في العهد الأخير.

وعقب الأستاذ صبيح على ذلك بقوله : (إن ادراك معاني القرآن لا يحتاج فقط إلى القاموس وإلى الشروح ، وانما يحتاج فهم معانيه إلى نفس صافية ، وروح مشرقة تستطيع أن تستشف لا المعاني وحدها ولكن ما وراء المعاني ، وألاّ نقف على مدلول اللفظ وحده ، ولكن على هذا الضوء النفسي الذي ينبعث من وراء المعاني) .

وخلاصة ما أتي به الأستاذ صبيح في تحقيق أن القرآن من عند الله هو :

● أولاً : أن شعور المؤمن بأن القرآن كلام الله ، نتيجة حفظه له وترديده آياه طوال أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، لا يستوي وشعور المستشرقين أولى القلوب الجاحدة والعقول الجامدة على النصية والحرفية : بأنه من إنشاء محمد .

● ثانياً : ظهور الفرق الفارق بين أسلوب القرآن واسلوب النبي في حديثه المسمى بالسنن ، واسلوب النبي في رواية الحديث القدسي .

وكذلك كان جدال كل من حاول أن يرد دعوى المستشرقين معنوية الوحي في القرآن . وآخر من قرأت له في ذلك فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني حيث قال في فصل (ما الذي أنزل على جبريل) من كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » : وعقيدتي انه مدسوس على المسلمين في كتبهم ، والا فكيف يكون القرآن معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل أو كيف يصح نسبته إلى الله ؟ واللفظ ليس له . مع أن الله يقول : حتي يسمع كلام الله)[1] .

وكتب المسلمين هذه التي يشير إليها الشيخ الزرقاني ، هي التي استند عليها الشاعر العراقي معروف الرصافي في القول بمعنوية الوحي في القرآن . حيث كان يعبر في كتابه « رسائل التعليقات » بهذا التعبير : «قال محمد في القرآن »!

والآن نريد أن نرخي العنان للمستشرقين ونذهب معهم

(١) صفحة : ٤٣

مذهب الجمود على الألفاظ ـ لا مذهب الأستاذ صبيح في التفريق بين شعورهم الجاحد وشعور المسلمين الخاص ـ ونأتيهم بحجتنا من تعابير القرآن نفسه صادقين على التدليل بالأحاديث القدسية والنبوية لاثبات الفرق بينهما أسلوباً وبين القرآن .

احتفظ القرآن بالتعابير الآتية الدالة على حرفيته :

● أولاً : كلمة «قل» وأمثالها : نبِّئ ، وانذر ، وبشر ، فأنا لا نعلم في اللغات جمعاء أسلوباً يقول فيه المرسل للرسول ـ مثلاً ـ (أذهب إلى فلان واخبره اني سأزوره غدا) فيذهب الرسول ويبلغ المرسل إليه نفس الكلام المرسل : (أذهب إلى فلان وأخبره اني سأزوره غدا) فان عادة البشر جرت على أن يفهم الرسول معني الرسالة ثم يبلغها بلفظ من عنده ، وكذلك كان الأمر في الحديث النبوي ـ خلا القسم الاجتهادي منه ـ فقد بلغ النبي ﷺ عن ربه تعاليم كثيرة صدرها بقوله « إن الله كره لكم كذا وكذا » و« أوصاني ربي بكذا وكذا » وأمرني بكذا .. الخ .

وكذلك الرسول ﷺ احتفظ بالقرآن رسالة نصية من الله إلى الناس ليصح أن يطلق عليه «كلام الله » وليتبينوا فيه التعابير الإلٓهية التي خوطب بها النبي توجيها وتنبيها وعتابا ، واقوى هذه التعابير وأكثر ترديداً كلمة : (قل ما كنت بدعا من الرسل ـ قل إنما أنا بشر مثلكم ـ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ـ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ـ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ـ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم ـ قل ان

● أولاً : أن شعور المؤمن بأن القرآن كلام الله ، نتيجة حفظه له وترديده آياه طوال أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، لا يستوي وشعور المستشرقين أولى القلوب الجاحدة والعقول الجامدة على النصية والحرفية : بأنه من إنشاء محمد .

● ثانياً : ظهور الفرق الفارق بين أسلوب القرآن واسلوب النبي في حديثه المسمى بالسنن ، واسلوب النبي في رواية الحديث القدسي .

وكذلك كان جدال كل من حاول أن يرد دعوى المستشرقين معنوية الوحي في القرآن . وآخر من قرأت له في ذلك فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني حيث قال في فصل (ما الذي أنزل على جبريل) من كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » : وعقيدتي انه مدسوس على المسلمين في كتبهم ، والا فكيف يكون القرآن معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل أو كيف يصح نسبته إلى الله ؟ واللفظ ليس له . مع أن الله يقول : حتي يسمع كلام الله)[1] .

وكتب المسلمين هذه التي يشير إليها الشيخ الزرقاني ، هي التي استند عليها الشاعر العراقي معروف الرصافي في القول بمعنوية الوحي في القرآن . حيث كان يعبر في كتابه « رسائل التعليقات » بهذا التعبير : «قال محمد في القرآن »!

والآن نريد أن نرخي العنان للمستشرقين ونذهب معهم

---

(١) صفحة : ٤٣

إياه ، وذلك ما نزل بسببه هذا العتاب) فلو كان القرآن من انشائه لتناول بعض هذا العتاب الصارخ بالحذف وبعضه بالتلطيف .

وشبيه بآيات العتاب في القرآن الآيات التي يمن الله فيها عليه باصطفائه للرسالة وتثبيته عليها ، وتحذيره من الانفكاك عنها : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ـ ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ـ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك الخ ..﴾ .

* * *

● ثالثاً : تعقيبات الله على ما يقصه على رسوله من قصص كقوله : ﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ـ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك ـ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**﴾ فلو كان القرآن من انشائه لاستغني عنها فهي لو لا أن القرآن نص كلام الله الموجه إليه ، ليست ذات بال .

* * *

● رابعاً : تعابير خطابية تشير من جهة إلى منّ الله على رسوله بأخبار الغابرين وتعني من جهة أخرى : إلى افحام الجاحدين برسالته ، بأنه إنما يتلقي الوحي من لدن حكيم عليم : ﴿**وما كنت**

لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ـ وما كنت ثاوياً في أهل مدين ـ وما كنت بجانب الغربي ـ وما كنت تتلو من قبله من كتاب الخ ..﴾

* * *

● خامساً : تعابير زجرية : موجهة من الله لرسوله بالذات ، وإن كان قومه معنيين بها بالتبعية : **﴿فلا تكونن من الممترين ـ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ـ فلا تكونن ظهيرا للكافرين ـ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ـ ولا تكونن من المشركين ـ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾** الخ .. فلو كان القرآن بأسلوب محمد لاكتفي ـ كأي إنسان يتلقي الأوامر والزواجر لنفسه ـ في الأخبار عنها بقوله مثلاً : نهاني ربي : أو أمرني ربي أو حذرني ربي الخ .. وعلى فرض تبعية أمته معه في توجيه الخطاب إليه وإليهم كان بوسعه أن يقول ـ لو كان القرآن من أسلوبه ـ : ونهاكم الله أو أمركم أو حذركم .

على أن هذه الزواجر لا منقصة فيها لمقام الرسول الرفيع ، كما يتوهم الجهلاء الغفلاء ـ بل هي لو عقلوا تكميل وتجميل له ، لأنه تلقاها من ربه العظيم ، وهو والناس سواء في مرتبة العبودية لهذا الرب العظيم ، لا يخافهم تعالى ولا يرجوهم ! وإن كان عليه الصلاة والسلام من حيث النبوة والرسالة أفضل وأكمل

وأجمل هؤلاء العبيد.

وبعد، فتلك حجتنا من القرآن نفسه لاثبات نصيته وحرفيته، ولم نأت بأقيسة بعيدة، بل استدللنا كما وعدنا في صدر هذا البحث على القرآن من القرآن والله المستعان.[1]

(١) في كتابنا: (مفتريات على الاسلام) رد مفصل على زعمة أن القرآن من إنشاء محمد ﷺ فليرجع اليه من شاء.

حـول كتـاب « اللغـات في القـرآن »

هذا كتاب قديم جديد .. قديم لأن المخبر به اسماعيل بن عمرو ، من صلحاء القرن الخامس الهجري وجديد لأن محققه وناشره الدكتور صلاح الدين المتجد من الأدباء السوريين العصريين .

يقول ناشره في صفحة (١١) « حدث بهذا الكتاب اسماعيل بن عمرو بن راشد الحداد عن عبدالله بن الحسين بن حسنون باسناده إلى إبن عباس » .

وقد قرأنا ـ من قبله ـ تفسير الفيروز أبادي المسمى « المقباس » المتصل باسناده ـ بزعمه ـ إلى إبن عباس فألفيناه ـ في خلوه وفراغه وقلة غنائه ـ دون مرتبة ترجمان القرآن وخبر المسلمين .

وكذلك نجد اليوم هذا الكتاب ، موضوع البحث والجدال ، بل هو أعظم افتئاتاً على القرآن الكريم ، وأعظم خطراً على لغته واعجازه وبلاغته . وسيجد القارىء فيما يلي مصداق ما نقول :

● جاء في ص (٢١) « إن ترك خيرا الوصية » ـ يعني المال كقوله « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً » يعني مالا . كقوله :

﴿**ما مكني فيه ربي خير**﴾ « أي مال » . وهذا قياس متسلسل في غير مقاس . فان الفعل « ترك » يحدد تمام التحديد معني الخير بالمال وتؤيده كلمة « الوصية » كل التأييد . ولا كذلك قوله : ﴿**إن علمتم فيهم خيراً**﴾ للموانع الآتية :

أولاً : إن العلم لا يكون الا للمعقولات ، ثانياً : إنه لو أريد بالخير هنا المال لاستغني عن قوله فيما بعد : ﴿**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾ إذ لا حاجة إلى إعانة المكاتبين بمال يعنيهم على المكاتبة ماداموا أصحاب مال .

واذن فالمراد بالخير هنا القدرة على الكسب ، والأمانة فيه .. ليؤمن شرهم ، ويضمن معاشهم فيما إذا أصبحوا طلقاء وهم شرار ، أو عاجزون مضيعون . ولذلك أوجب الله لهم ـ في غير هذا الموضع من القرآن ـ نصيباً في الزكاة أشار إليه هنا للتأكيد وهو قوله عز وجل من سورة براءة : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**.. إلى قوله **وفي الرقاب**﴾ .

أما « الخير » في قوله تعالى : ﴿**مامكني فيه ربي خير**﴾ فمعناه مغاير للمعنيين السابقين إذ المقصود به أفضل أو أحسن أو أعظم ، والمفضَّل عليه محذوف مفهوم من سياق اللفظ ومعلوم بضرورة المعني ، أى أن : ماجعله الله لي من تمكين في الأرض ، وايتاءه أياى من كل شيء سببا : أفضل مما ستجعلونه لى من خرج ، على أن تفسير « الخير » في هذه الآية بالمال ـ كما ذهب صاحب الكتاب ، فيه قصر لما مكن فيه ذو القرنين على المال فحسب ،

● أولاً : أن شعور المؤمن بأن القرآن كلام الله ، نتيجة حفظه له وترديده آياه طوال أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، لا يستوي وشعور المستشرقين أولى القلوب الجاحدة والعقول الجامدة على النصية والحرفية : بأنه من إنشاء محمد.

● ثانياً : ظهور الفرق الفارق بين أسلوب القرآن واسلوب النبي في حديثه المسمى بالسنن ، واسلوب النبي في رواية الحديث القدسي .

وكذلك كان جدال كل من حاول أن يرد دعوى المستشرقين معنوية الوحي في القرآن . وآخر من قرأت له في ذلك فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني حيث قال في فصل (ما الذي أنزل على جبريل) من كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » : وعقيدتي انه مدسوس على المسلمين في كتبهم ، والا فكيف يكون القرآن معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل أو كيف يصح نسبته إلى الله ؟ واللفظ ليس له . مع أن الله يقول : حتي يسمع كلام الله)[1] .

وكتب المسلمين هذه التي يشير إليها الشيخ الزرقاني ، هي التي استند عليها الشاعر العراقي معروف الرصافي في القول بمعنوية الوحي في القرآن . حيث كان يعبر في كتابه « رسائل التعليقات » بهذا التعبير : «قال محمد في القرآن »!

والآن نريد أن نرخي العنان للمستشرقين ونذهب معهم

---

(١) صفحة : ٤٣

إذ لا نعقل أن تكون كلمة « دأب » المفردة معناها « أشباه » المجموعة ، فنقول مثلاً « نحن دأبكم » أي أشباهكم ! ! إلاّ أن يكون رطانة من رطانات الشعوبيين « الأذكياء » .

وإن كتب اللغة وكتب التفسير لتجمع على أن « دأب » معناها سنة ، أو إعادة ، أو طريقة أو أسلوب وهو معقول مقبول ، وصحيح فصيح ، في سياق هذه الآية وغيرها من آيات القرآن .

● وقال في ص (٢٦) : « وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ـ يعني متتابعا وهو كذلك في سورة هود » .

وهذا تفسير غير موائم في المبني ولا في المعني على سواء ، أولاً : لأن مفعال من « در ـ يدر » لا يتسق ومتفاعل من « تتابع يتتابع » وثانياً : لأن مادة « در ـ يدر » في اللغة تدل على الغزارة والتعميم ، ولا يلزم منها التتابع ، إذ ليس كل متتابع غزيرا عميما ولا كل غزير عميم متتابعا ، فقد يكون الغيث متتابعا وهو رذاذ ، وقد يكون غزيرا عميما ، وهو غير متتابع .

● وقال في ص (٣٦) : « قد جعل ربك تحتك سريا » يعني جدولا . ونحن نسأل مؤلف كتاب اللغات في القرآن ورهط المفسرين الذين ينحون منحاه في تأويل (سريا) بجدول : ما العلاقة بين أن يجري تحت مريم جدول رقراق وبين نداء عيسي لها « الا تحزني » وأين في هذا المعني الذي يريدونه : التعزية والتسلية التي يريدها عيسي لأمه عليهما السلام ؟! .

إن العزاء كل العزاء ـ يا هؤلاء الأذكياء ـ لمريم في مخاضها

الشديد ، أن يكون نداء وليدها تبشيراً بسراوته النبوية التي تتقاصر دونها السراوات ، وعلى هذا يكون معني « سريا » : « وجيهاً في الدنيا والآخرة » كما في سورة آل عمران والتفسير بالوارد خير تفسير كما يقول أصحاب الأصول : ويكون معني أن عيسي سرى عن أمه ألم المخاض بأن بشرها بأن الله إنما أنجب منها سيداً كريماً .

● وقال في ص (٤٠) : « فيطمع الذي في قلبه مرض ـ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض » يعني الزنا .. والذي نعرفه أن الزنا لا يكون معني في القلب وإنما هي عملية مشتركة بين جسمين ، وهذا لا ينافي في أن نقول أن القلب يزني ، والعين تزني ، والأذن تزني ، كما في الحديث النبوي ـ ونعني بذلك الاستمتاع القلبي والسمعي أو النظري في هذا المجال ، تجوزا دون ارادة الفعلة على التحقيق إلاّ أن « يصدق الفرج ذلك أو يكذبه » كما جاء في تمام الحديث .

ومؤلف كتاب اللغات في القرآن ، بصدد التفسير اللغوي للفظة المرض ، فكان عليه أن يقول : أن المرض من الوجوه والنظائر في القرآن ، فقد يأتي مجازاً من الشرك ، ومجازاً من النفاق ، ومجازاً من حب الزنا ، لا من الزنا نفسه ، لأن القلب مضطرب النية ، وليس ميدان العمل . والمرضان في الآيتين مختلفان !

* * *

● وقال في الصفحة ذاتها « يؤفكون » يعني يكذبون وكل افك

في القرآن فهو كذب ـ وهذا اطلاق ممنوع عقلاً ونقلاً . لأن الافك في أصل اطلاقه اللغوي هو الصرف عن الشيء ثم استعير للكذب لأنه انصراف عن الحق ، وعلى ذلك فكل كذب : افك وليس كل افك كذباً ، وقد جاء في القرآن الكريم على اطلاقه الأول ـ والأصيل في قوله تعالى : ﴿**اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ..**﴾ ـ أي لتصرفنا ـ وقوله تعالى ﴿**يؤفك عنه من افك**﴾أي يصرف عنه من صرف ، واطلق مرة أخرى على إرادة « الانقلاب » كما في قوله تعالى : (المؤتفكات) أى مدن قوم لوط التي جعل الله عاليها سافلها ، ويجوز أن تعني الكلمة « المنصرفات » عن الحق .

ثم أن تركيب مشتقات الافك : « يؤفكون ـ تأفكنا ـ يؤفك عنه من أفك ـ المؤتفكات » لا يتواءم وتركيب مشتقات الكذب : « تكذبون ـ تكذبنا ـ يكذب عنه من كذب ـ الكاذبات » .

● وقال في ص (٤٣) « وحاق بهم ـ وحاق بآل فرعون ـ ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله » يعني : وجب ، وهذا في ـ رأينا ـ تعسير وليس بتفسير ! ! أو هو تفسير الواضح بالغامض لأن (حاق) تعني (أحاط) وكلاهما يلزم تعديهما بالباء ، ومورد الفعل الأول متعدياً بها يناسب تفسيره بالفعل الثاني ، ويشعر بالاحاطة والتطويق أما « وجب » فأصل معناها الاقدم الذي لا يكاد يفهم إلاّ في نقطة واحدة في القرآن الكريم ـ هو الوقوع

والسقوط كما في قوله تعالى : ﴿**فاذا وجبت جنوبها**﴾ الآية[1] ثم استعمل الواجب لمعني اتم واللزوم ؛ وهو معناه الأول المهجور . ومعناه الثاني الشائع ليس في مثل مناسبة (أحاط به) تفسيراً واضحاً لقولنا (حاق به) .

* * *

● وقال في ص (٤٨) : « غير مدينين » أى مبعوثين ـ وهذه الآية من سورة الواقعة وسياقها لا يلائم تفسير (مدينين) بمبعوثين ، على ظن أن الدين معناه البعث وهو شيء لم نسمعه ولا نستسيغه . قال تعالى : ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا أن كنتم غير مدينيين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾[1] .

فالمقام كما ترى تعجيز وتحدي للناس بنوعيهم كفارا ومسلمين ، إن يردوا روح من يقاسي سكرات الموت إن كانوا أقوياء في مثل قوة الله ، قادرين في مثل قدرته ، وهم ما كانوا كذلك ولن يكونوا ، لأنهم تحت دينونة الله ـ أي قهره وسلطانه ـ وإذن « فمدينون » معناه : محكومون لله ، مقهورون له ، مسيرون بقدرته ، وتساعدنا في تقرير هذه المعاني آيات أخرى من القرآن نفسه كقوله تعالى : ﴿.. **ما من دابة في الأرض**

---

(١) سورة الحج الآية ٣٦ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٣ .

إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾[1] و ﴿**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان﴾**[2] .

ومع أن (الدين) ورد في القرآن نفسه بمعني الجزاء كما في قوله : ﴿**مالك يوم الدين﴾** وقوله : ﴿**إن الدين لواقع﴾** فهو بعيد كل البعد عن احتماله معني البعث كما يرى صاحب كتاب اللغات ـ أو كما يروي .

* * *

● وقال في ص (٥٠) : « زعم الذين كفروا » يعني كذب ـ وهذه الآية في سورة التغابن وكاملها : ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن﴾** والزعم في اللغة ، هو القول بالظن ، أو الادعاء ، وسياق الآية وتركيبها يدلان على إرادة هذا المعني نفسه ، لأن مفهومها الظاهر والباطن يشير إلى أن الذين كفروا قالوا أو ادعوا أو ظنوا أنهم لن يبعثوا بعد موتهم ، وإلى أن الله تعالى رد عليهم بقوله : ﴿**قل بلى وربي لتبعثن﴾** وأنت ترى ـ بعد ـ أن قوله : ﴿**أن لن يبعثوا﴾** يصلح لأن يكون تأويله المصدري مفعولاً لقال أو ادعى أو ظن ، ولا يصلح أن يكون مفعولاً لكذب ـ كما يرى أو يروى صاحب كتاب اللغات .

---

(١) سورة هود الآية ٥٦ .
(٢) سورة الرحمن الآية ٣٣ .

● وقال في ص (٢٨) : « وما مسني السو ـ إن نقول الا اعترك بعض آلهتنا بسوء » يعني الجنون .

وكلمة « سوء » في القرآن من الوجوه والنظائر ، كالصلاة والهدى والأمة والدين والرحمة والدعاء . التي ترد لأكثر من معني واحد ، وعلى ذلك فكلمة (سوء) في الآية الأولى غيرها في الأخرى ، فهي في الثانية بمعني (الجنون) وليست في الأولى كذلك ، لأن الله يلهم نبيه فيها الاعتذار إلى الناس بانه بشر من البشر ، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولم يمسه السوء من مرض ... وافتقاد أهله وإيذاء المشركين له في مكة ، والمنافقين في المدينة ولكنه مثلهم يصيبه ما يصيبهم ، ولا يدري ما يفعل به ولا بهم ، إلاّ أن صبره غير صبرهم ، وأجره غير أجرهم ، وبذلك يتضح مكان عبارة (ومامسني السوء) وهو العطف على جواب (لو) وهو قوله (لاستكثرت من الخير) وذلك أبلغ وأدمغ من اعتبارها مستأنفة بنفي الجنون عن نفسه ، في مقام يتمني فيه أن يعلم الغيب ليستكثر من الخير ، ويسلم من السوء ..

* * *

● وقال في ص (٣٠) : ﴿**عزيز عليه ماعنتم ـ ولو شاء الله لاعنتكم ـ لمن خشي العنت منكم**﴾ يعني الإثم ! والاثم ـ في اللغة ـ الذنب ، والعنت هو المشقة في اللغة وفي مساقات هذه

إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾[1] و ﴿**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان﴾**[2] .

ومع أن (الدين) ورد في القرآن نفسه بمعني الجزاء كما في قوله : ﴿**مالك يوم الدين**﴾ وقوله : ﴿**إن الدين لواقع**﴾ فهو بعيد كل البعد عن احتماله معني البعث كما يرى صاحب كتاب اللغات ـ أو كما يروي .

* * *

● وقال في ص (٥٠) : « زعم الذين كفروا » يعني كذب ـ وهذه الآية في سورة التغابن وكاملها : ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن**﴾ والزعم في اللغة ، هو القول بالظن ، أو الادعاء ، وسياق الآية وتركيبها يدلان على إرادة هذا المعني نفسه ، لأن مفهومها الظاهر والباطن يشير إلى أن الذين كفروا قالوا أو ادعوا أو ظنوا أنهم لن يبعثوا بعد موتهم ، وإلى أن الله تعالى رد عليهم بقوله : ﴿**قل بلى وربي لتبعثن**﴾ وأنت ترى ـ بعد ـ أن قوله : ﴿**أن لن يبعثوا**﴾ يصلح لأن يكون تأويله المصدري مفعولاً لقال أو ادعى أو ظن ، ولا يصلح أن يكون مفعولاً لكذب ـ كما يرى أو يروى صاحب كتاب اللغات .

---

(١) سورة هود الآية ٥٦ .
(٢) سورة الرحمن الآية ٣٣ .

والآية الثالثة ترفع المشقة والحرج عمن لا يستطيع طولاً ـ أى مالا ـ أن ينكح حرة بأن ينكح أمة ، لئلا يضطر تحت ضغط الغريزة الجنسية إلى المخادنة والسفاح ..

وقد وردت بهذا اللفظ نفسه آية أخرى : ﴿**ودّوا ماعنتّم**﴾[1] أي ما تلقونه من مصاعب ومتاعب .

* * *

● وقال في ص (٣١) : ﴿**قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا**﴾ « أي حقيرا » و ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ أي الأحمق السفيه ولساننا العربي المبين أجل من أن يفجعنا في المرجوين والحلماء والرشداء ، فيجعل أوصافهم من الألفاظ التي تحتمل الضدين .

هذا إلى أن بلاغة القرآن واعجازه يلزمان كل بصير بالبيان العربي أن يفهم هذه العبارات على حقيقتها أولاً ثم حملها على إرادة السخرية والتعجيب كقوله تعالى : ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ . وقوله تعالى حكاية عن كفار مكة ﴿**أن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**﴾ فانما قالوا : « هدى » سخرية وهزوءً . وكقوله أيضاً رواية عن من زعموا قتلهم للمسيح : ﴿**انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله**﴾ فانما قالوا : « رسول الله » سخرية وهزوءً إذ لو كان اولئك يؤمنون بأن الاسلام هدى لاتبعوه . ولو كان هؤلاء يؤمنون بأن عيسي رسول الله لنصروه . وكقول أحدنا في تعنيف صاحبه : (أنت العاقل

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٨ .

● أولاً : أن شعور المؤمن بأن القرآن كلام الله ، نتيجة حفظه له وترديده آياه طوال أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، لا يستوي وشعور المستشرقين أولى القلوب الجاحدة والعقول الجامدة على النصية والحرفية : بأنه من إنشاء محمد.

● ثانياً : ظهور الفرق الفارق بين أسلوب القرآن واسلوب النبي في حديثه المسمى بالسنن ، واسلوب النبي في رواية الحديث القدسي.

وكذلك كان جدال كل من حاول أن يرد دعوى المستشرقين معنوية الوحي في القرآن. وآخر من قرأت له في ذلك فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني حيث قال في فصل (ما الذي أنزل على جبريل) من كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » : وعقيدتي انه مدسوس على المسلمين في كتبهم ، والا فكيف يكون القرآن معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل أو كيف يصح نسبته إلى الله ؟ واللفظ ليس له. مع أن الله يقول : حتي يسمع كلام الله)[1].

وكتب المسلمين هذه التي يشير إليها الشيخ الزرقاني ، هي التي استند عليها الشاعر العراقي معروف الرصافي في القول بمعنوية الوحي في القرآن. حيث كان يعبر في كتابه « رسائل التعليقات » بهذا التعبير : «قال محمد في القرآن »!

والآن نريد أن نرخي العنان للمستشرقين ونذهب معهم

(١) صفحة : ٤٣

● وقال في ص (٢٨) : « وما مسني السو ـ إن نقول الا اعترك بعض آلهتنا بسوء » يعني الجنون .

وكلمة « سوء » في القرآن من الوجوه والنظائر ، كالصلاة والهدى والأمة والدين والرحمة والدعاء . التي ترد لأكثر من معني واحد ، وعلى ذلك فكلمة (سوء) في الآية الأولى غيرها في الأخرى ، فهي في الثانية بمعني (الجنون) وليست في الأولى كذلك ، لأن الله يلهم نبيه فيها الاعتذار إلى الناس بانه بشر من البشر ، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولم يمسه السوء من مرض ... وافتقاد أهله وإيذاء المشركين له في مكة ، والمنافقين في المدينة ولكنه مثلهم يصيبه ما يصيبهم ، ولا يدري ما يفعل به ولا بهم ، إلاّ أن صبره غير صبرهم ، وأجره غير أجرهم ، وبذلك يتضح مكان عبارة (ومامسني السوء) وهو العطف على جواب (لو) وهو قوله (لاستكثرت من الخير) وذلك أبلغ وأدمغ من اعتبارها مستأنفة بنفي الجنون عن نفسه ، في مقام يتمني فيه أن يعلم الغيب ليستكثر من الخير ، ويسلم من السوء ..

* * *

● وقال في ص (٣٠) : **﴿عزيز عليه ماعنتم ـ ولو شاء الله لاعنتكم ـ لمن خشي العنت منكم﴾** يعني الإثم ! والاثم ـ في اللغة ـ الذنب ، والعنت هو المشقة في اللغة وفي مساقات هذه

إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾[1] و **﴿يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان﴾**[2] .

ومع أن (الدين) ورد في القرآن نفسه بمعني الجزاء كما في قوله : **﴿مالك يوم الدين﴾** وقوله : **﴿إن الدين لواقع﴾** فهو بعيد كل البعد عن احتماله معني البعث كما يرى صاحب كتاب اللغات ـ أو كما يروي .

* * *

● وقال في ص (٥٠) : « زعم الذين كفروا » يعني كذب ـ وهذه الآية في سورة التغابن وكاملها : **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن﴾** والزعم في اللغة ، هو القول بالظن ، أو الادعاء ، وسياق الآية وتركيبها يدلان على إرادة هذا المعني نفسه ، لأن مفهومها الظاهر والباطن يشير إلى أن الذين كفروا قالوا أو ادعوا أو ظنوا أنهم لن يبعثوا بعد موتهم ، وإلى أن الله تعالى رد عليهم بقوله : **﴿قل بلى وربي لتبعثن﴾** وأنت ترى ـ بعد ـ أن قوله : **﴿أن لن يبعثوا﴾** يصلح لأن يكون تأويله المصدري مفعولاً لقال أو ادعى أو ظن ، ولا يصلح أن يكون مفعولاً لكذب ـ كما يرى أو يروى صاحب كتاب اللغات .

---

(١) سورة هود الآية ٥٦ .
(٢) سورة الرحمن الآية ٣٣ .

● وقال في ص (٢٨) : « وما مسني السو ـ إن نقول الا اعترك بعض آلهتنا بسوء » يعني الجنون .

وكلمة « سوء » في القرآن من الوجوه والنظائر ، كالصلاة والهدى والأمة والدين والرحمة والدعاء . التي ترد لأكثر من معني واحد ، وعلى ذلك فكلمة (سوء) في الآية الأولى غيرها في الأخرى ، فهي في الثانية بمعني (الجنون) وليست في الأولى كذلك ، لأن الله يلهم نبيه فيها الاعتذار إلى الناس بانه بشر من البشر ، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولم يمسه السوء من مرض ... وافتقاد أهله وإيذاء المشركين له في مكة ، والمنافقين في المدينة ولكنه مثلهم يصيبه ما يصيبهم ، ولا يدري ما يفعل به ولا بهم ، إلاّ أن صبره غير صبرهم ، وأجره غير أجرهم ، وبذلك يتضح مكان عبارة (ومامسني السوء) وهو العطف على جواب (لو) وهو قوله (لاستكثرت من الخير) وذلك أبلغ وأدمغ من اعتبارها مستأنفة بنفي الجنون عن نفسه ، في مقام يتمني فيه أن يعلم الغيب ليستكثر من الخير ، ويسلم من السوء ..

* * *

● وقال في ص (٣٠) : **﴿عزيز عليه ماعنتم ـ ولو شاء الله لاعنتكم ـ لمن خشي العنت منكم﴾** يعني الإثم ! والاثم ـ في اللغة ـ الذنب ، والعنت هو المشقة في اللغة وفي مساقات هذه

وقد استوقفني في الكتاب خمسة عشر ملحظاً أحببت أن يشاركني القراء عرضها وجدال المؤلف فيها ، كما أحببت ـ من جهة ثانية ـ أن أهديها للأستاذ سيد كدليل على اعجابي وترحابي به .

وأول ما أريد جدال المؤلف فيه ، اصراره الظاهر المكرور في عدة مواضع من كتابه ، على أنه ـ مثلاً ـ لم يفكر هذا التفكير أو لم يتصور هذه الصورة ـ أو لم يقف هذه الوقفة لأنه رجل دين تغله عقيدته الدينية عن الفهم والبحث .. ولكن لأنه رجل فكر يحترم فكره .

أنا لا أحب أن أتدخل بينه وبين أشادته بفكره ، وعمله دائماً بوحي هذا الفكر فيما يرى من آراء . ولكني أريد أن أتدخل فيما تشعر به هذه الاشادة السافرة الفاخرة من أن العقيدة الاسلامية التي ينفي المؤلف اعتبارها في عمله ليثبت اعتبار فكره فيه ـ تحول دون الفهم الدقيق ، والبحث الطليق ، والانتهاء إلى رأى معقول مقبول .

فهل الأمر كذلك يا أستاذ سيد ؟ .

إنني أفخر ـ معك ـ بفكرك البصير ، ولكني في الوقت نفسه أعزو نشأته إلى دينك البصير ، فلو لم يكن كذلك لأبعدت كما أبعد غيرك حين تناول ماتناولت من مباحث القرآن ، ولكنك اقتربت كثيراً ، فجئت أو جاء كتاباك (التصوير ـ والمشاهد) دليلاً على وجود « الفكرية الحرة في الاسلام » كما كان الاسلام نفسه دليلاً لك إلى فكرتك العصماء ..

موقف الرسل يوم القيامة :

وجاء في ص (٢٢٦) تعقيبه على هذا المشهد : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) ... قال : « ومع أن المنتظر أن يتحدثوا بما أجابهم به الناس ، وأن يقصوا أنباء إيمانهم وكفرهم ، ويعرضوا ما لا قوه من الجهد في الدعوة الشاقة ، فان هول الموقف ـ كما يبدو انساهم كل شيء ، وأذهلهم عن الذكرى » .

وتصوير الرسل عليهم السلام بهذه الصورة الذاهلة الغافلة أمر ينقصه المعقول والمنقول ، فهم ـ أولاً : مصطفون لحمل أمانات ربهم ، وأداء رسالاته . وهم ثانياً : شهداء على أقوامهم بما بلغوهم ، كما هو مفهوم من وظيفة الرسالة عقلياً ، ومعلوم من نصوص القرآن نقلياً : ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم**﴾ فكيف لا يجيبون إذا سئلوا؟ أو لا يشهدون إذا استشهدوا ؟ وما معني كونهم رسل الله إلى خلقه ؟ وإذا فرضنا جدلاً أن هول الموقف هو السبب في صمتهم فأين ميزاتهم على بقية خلق الله الآخرين ؟ أيكونون جميعاً في التأثر بهول الموقف سواء .

أم يريد الأستاذ سيد أن نصور « الرسل » بنفس الصورة التي صور الله بها « غيرهم » حيث قال : (ماذا أجبتم المرسلين ، فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون) ؟ .

هذان مانعان من تصوير الرسل الكرام بهذه الصورة التي يرفضها العقل والنقل معاً . وأمامنا لهم صورتان معقولتان لائقتان

وقد استوقفني في الكتاب خمسة عشر ملحظاً أحببت أن يشاركني القراء عرضها وجدال المؤلف فيها ، كما أحببت ـ من جهة ثانية ـ أن أهديها للأستاذ سيد كدليل على اعجابي وترحابي به .

وأول ما أريد جدال المؤلف فيه ، اصراره الظاهر المكرور في عدة مواضع من كتابه ، على أنه ـ مثلاً ـ لم يفكر هذا التفكير أو لم يتصور هذه الصورة ـ أو لم يقف هذه الوقفة لأنه رجل دين تغله عقيدته الدينية عن الفهم والبحث .. ولكن لأنه رجل فكر يحترم فكره .

أنا لا أحب أن أتدخل بينه وبين أشادته بفكره ، وعمله دائماً بوحي هذا الفكر فيما يرى من آراء . ولكني أريد أن أتدخل فيما تشعر به هذه الاشادة السافرة الفاخرة من أن العقيدة الاسلامية التي ينفي المؤلف اعتبارها في عمله ليثبت اعتبار فكره فيه ـ تحول دون الفهم الدقيق ، والبحث الطليق ، والانتهاء إلى رأى معقول مقبول .

فهل الأمر كذلك يا أستاذ سيد ؟ .

إنني أفخر ـ معك ـ بفكرك البصير ، ولكني في الوقت نفسه أعزو نشأته إلى دينك البصير ، فلو لم يكن كذلك لأبعدت كما أبعد غيرك حين تناول ماتناولت من مباحث القرآن ، ولكنك اقتربت كثيراً ، فجئت أو جاء كتاباك (التصوير ـ والمشاهد) دليلاً على وجود « الفكرية الحرة في الاسلام » كما كان الاسلام نفسه دليلاً لك إلى فكرتك العصماء ..

من تمثيل المنافقين مع المؤمنين في الدنيا بصور متعددة :

- تشهد في واحدة منها المنافقين وهم يصلون في مساجد المؤمنين صفوفاً متحدة بصفوفهم .
- ونشهدهم في الثانية يحضرون معهم في الغزوات للقتال والغنيمة .
- ونشهدهم في الثالثة يجتمعون بهم في أنديتهم للتسامر والتشاور .
- ونشهدهم في الرابعة يبيعون في أسواق المؤمنين ويشترون .
- ونشهدهم في الخامسة رفاقاً للمسلمين في الحج والاعتمار .

ولقد خدع المنافقون أنفسهم في الدنيا بهذه المظاهر ـ مع افساد المخابر ـ والفوا هذا الخداع حتي نسوه ، وظنوه حقاً من الحق ، وازجوه بضاعة في سوق الآخرة ، هذه السوق الواضحة الفاضحة التي لا يروج فيها النفاق .

وقالوا حينئذ للمؤمنين (ألم نكن معكم) !؟ .

إنه سؤال خادع ومخدوع ، وهو على كل حال يدل على معية واسعة المعاني متعددة المناظر ، كما أسلفنا التمثيل .

رؤية الله يوم القيامة :

وعقب في ص (١٩٩) على هذه الآية **﴿كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** بقوله : « نشهد الفجار محجوبين عن ربهم لا يرونه ، والله لن يراه انسان ، ولكن الحجب هنا معنوي مجسم ، فهم لن يتطلعوا إلى ربهم ، بل يقفون كما عهدناهم ناكسي

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

● ونقول ـ في الوجهة الثانية ـ أن الحجب حسي أولاً ثم معنوي ، فهم أولاً : لا يرون ربهم كما يراه المؤمنون . وهم ثانياً : لا ينالون كما ينال المؤمنون تكريمه وتسليمه ، ولا يكون معنوياً وحده إلاّ أن يقول الأستاذ سيد أن الفجار يرون ربهم ولكنهم محرومون من عطفه ولطفه ، ولم يقل هذا أحد من قبل ، والأستاذ سيد نفسه ينفي الرؤية الحسية عامة ، عن الأبرار والفجار .

ثم أن قوله « لا يتطلعون إلى ربهم ، بل يقفون كما عهدناهم ناكسي رؤوسهم » .. تصوير لحجب حسي والا فما معنى اغضاء الطرف ، وطأطأة الرأس إلى أسفل ، وعدم التطلع .. غير عدم الرؤية الحسية ؟ .

الثواب بمعنى العقاب :

وعقب في نفس الصفحة على هذه الآيات : ﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**﴾ بقوله : «كلا ! لم يثوَّبوا ، فهم كما شهدناهم منذ هنيهة هنا في الجحيم» .

وكان على الأستاذ سيد أن يقول : « نعم ! » وذلك لأن السؤال ليس كما فهمه انكاريا بل هو تقريري ، كما أن الثواب ليس حقيقياً ، بل هو مجازي .

● وحجتنا الأولى أن الآية (٢٩) من نفس السورة : ﴿**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون**﴾ تقرر أن الجزاء

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

أعظم ! !

وهذا تفسير جاف الأسلوب جافي المعنى ، وكان حريا بالأستاذ سيد وهو من نعرف علما وفهما ـ أن يتريث قليلاً مقلباً وجوه الفهم لهذه الآية ، أو لهذه المسألة ـ على الأصح ـ مسألة الساعة التي ثقلت على أهل السموات والأرض . فهم من أمرها في حيرة وانتظار ، مسألة الساعة التي يكون أبلغ جواب عنها أن يقول لنبيه : فيم هؤلاء يسألونك عن الساعة ؟ وأنت بين ظهرانيهم من أسباب ذكراها ؟ فإنك بعثت لتذكرهم بها ولا يذكر بالشيء ، إلاّ إذا كان قريب الحدوث ..

ويؤيدنا في هذا المذهب من الفهم ما جاء من أحاديثه عليه الصلاة والسلام : « بعثت في نفس الساعة ـ بعثت والساعة كهاتين ، وفرق بين سبابته ووسطاه ـ بعثت بين يدي الساعة » .

إن في : « فيم ؟ » سخرية وزجراً ـ بطريق السؤال الملمح ـ للسائلين البلداء الذين لا تكفيهم الاشارة ، ولا يكفيهم أن يروا في محمدٍ بشيراً ونذيراً بشيء سيقع ، ويكون الفاصل بين أعمال الدنيا وجزاءاتها ، وهو « القيامة » لو كانوا يفقهون .

وفي : « أنت من ذكراها » تأكيد للسخرية والزجر ، بطريق التقرير الواضح الذي يفهمه البلداء !

البراهين العقلية والوجدانية :

وقال في ص (١٦٩) : « نحن في الساحة نشهد ورودهم مع

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

---

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

يدمغ وجداناتهم الضالة التي كانت تعطفهم نحو الاعتقاد الأعمى بنفع هذه الأصنام وضررها . أو نحو الاعتقاد الأعمى بصحة ما كان عليه آباؤهم ـ على الأقل ـ دون أن يجدوا برهانا لذلك بين أيديهم ! ! .

على أني لا أنكر وجود براهين وجدانية في القرآن ، واستطيع الآن أن أورد واحداً منها ، لا لأدل الأستاذ سيد إليه فهو يعلمه .. ولكن ليظهر الفرق بينه وبين هذا البرهان العقلي الذي خالفناه في عزوه إلى الوجدان :

● يقول تبارك وتعالى ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده . ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً**﴾ فهذه القضية وجدانية خالصة ، وبرهانها الأخروي : ﴿**يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يعنيه**﴾ وجداني خالص أيضاً .

ذلك أن العقل لا يمنع عطف القريب على القريب أياًكان أو أما أو أخاً أو ولداً ، ولكن الوجدان وحده هو الذي يجيز ذلك في الدنيا ، ويمنعه في الآخرة .. فالوجدان في الدنيا يعطف القلوب على القلوب ، وهو في الآخرة متنكر قاس ، يجحد الأنساب ، ويقطع الأسباب ! !

براءة الآلهة المزعومة من عبدتها :

وقال في ص (١٦٣) تعقيباً على هذا المشهد : (وإذا رأى الذين أشركوا شركاؤهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

الشركاء لهم ، استسلاما طبيعياً منهم لله الذي أشركوا معه من لم ينفعوهم بل كذبوهم ! .

وعطف قوله : ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ على قوله : ﴿**والقوا إلى الله يومئذ السلم**﴾ يؤيد ويؤكد أن المقصود بالموقفين أو الوصفين : الذين أشركوا وليس الشركاء ـ أي الآلهة المزعومة . فقد (ضل) أى ذهب وغاب وتخلى عنهم ما افتروه من شرك وشركاء ، فلم ينفعوهم ولم يشفعوا لهم .

اليمين : مجاز عن المأمن :

وفسر في ص (١٣٣) « اليمين » في هذه الآية : ﴿**قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين**﴾ بالجهة اليمني المقابلة لليسرى ، فهي عنده المعتادة في حالة الوسوسة بالأسرار غالباً ... ونحن لا نكتفي بمعناها القريب المبتذل البعيد ـ لابتذاله ـ عن بلاغة الآية ، ومنطق حجاج الاتباع والمتبوعين .

لننظر في جواب المتبوعين : ﴿**بل لم تكونوا مؤمنين**﴾ .. فهل ترى في (اليمين) على فهم المؤلف ـ معني يحجُّه هذا الجواب البليغ ؟ بل هل ترى في « اليمين » « على فهمه أيضاً معني يحج الاتباع به المتبوعين ؟!

أما أنا فلا أرى في ذلك حجة قوية ، ولا بلاغة جدلية ، وأرجو من المؤلف أن يلتفت عن معني « اليمين » القريب المبتذل إلى ما يصلح أن تطلق مجازاً عليه ـ والبلاغة في المجاز ـ كالقوة ، والايمان ..

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

يحاور أباه وحده ، ولم يدع له بالهداية ولم ينذره باعتزاله ، وإنما كان ذلك منه في مشهد سورة مريم : ﴿**إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً** ـ إلى قوله **واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي**﴾ .

* * *

● وعقب في ص (١٠٢) على : ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا**﴾ بقوله : (فأما الوفد فسيلقي الرحمن يستقبل بره وغيثه ، وأما الورد فمستورد جهنم يستقبل اللظى والأوار) .

ووقفتنا في هذا المشهد القصير الذي لم يوفه المؤلف حقه ، وقفة فنية كوقفتنا السابقة في مشهد ص (٢١٠) فالمشهد هنا يتطلب تمثيل الوفد وهم ركوب ، مكرمين ارسالاً واستقبالاً ، على عادة الوفد واستقبالها من اجلال وتحفٍّ ونظرات معجبة تتطلع إليهم ، وتحيات بالأيدي والألسنة تضفي عليهم .

هكذا يجب أن نفهم : « وفداً » في الآية . كما يجب أن نتصور المجرمين بكلمتي « نسوق » و « ورداً » انعاما لاهثة من الظمأ ، يسوقها الرعاء سوقاً إلى الماء .. وأي ماء؟ إنه حميم جهنم الذي يقطع الامعاء ، ويشوي الوجوه ، فبئس الورد ، وبئس الواردون ! .

● وفسر في ص (٧٣) : (أنها ترمي بشرر كالقصر) بقوله كأنه الشجر الغليظ « وجمالة صفر » بالحبال الغليظلة من حبال

وقد استوقفني في الكتاب خمسة عشر ملحظاً أحببت أن يشاركني القراء عرضها وجدال المؤلف فيها ، كما أحببت ـ من جهة ثانية ـ أن أهديها للأستاذ سيد كدليل على اعجابي وترحابي به .

وأول ما أريد جدال المؤلف فيه ، اصراره الظاهر المكرور في عدة مواضع من كتابه ، على أنه ـ مثلاً ـ لم يفكر هذا التفكير أو لم يتصور هذه الصورة ـ أو لم يقف هذه الوقفة لأنه رجل دين تغله عقيدته الدينية عن الفهم والبحث .. ولكن لأنه رجل فكر يحترم فكره .

أنا لا أحب أن أتدخل بينه وبين أشادته بفكره ، وعمله دائماً بوحي هذا الفكر فيما يرى من آراء . ولكني أريد أن أتدخل فيما تشعر به هذه الاشادة السافرة الفاخرة من أن العقيدة الاسلامية التي ينفي المؤلف اعتبارها في عمله ليثبت اعتبار فكره فيه ـ تحول دون الفهم الدقيق ، والبحث الطليق ، والانتهاء إلى رأى معقول مقبول .

فهل الأمر كذلك يا أستاذ سيد ؟ .

إنني أفخر ـ معك ـ بفكرك البصير ، ولكني في الوقت نفسه أعزو نشأته إلى دينك البصير ، فلو لم يكن كذلك لأبعدت كما أبعد غيرك حين تناول ماتناولت من مباحث القرآن ، ولكنك اقتربت كثيراً ، فجئت أو جاء كتابك (التصوير ـ والمشاهد) دليلاً على وجود « الفكرية الحرة في الاسلام » كما كان الاسلام نفسه دليلاً لك إلى فكرتك العصماء ..

الآثار ، وآثارها بسبب مما نحن فيه . وهو الدلالة على القوة المجهولة التي تملك اليوم الموعود .

ونيعذرنا الأستاذ سيد إذا قلنا له : أن شيئاً يكون مجهول الكنه والمصدر وملحوظ الوصف والأثر يكاد لا يوجد . فان الوصف يدل على الموصوف حسياً وعقلياً ـ وكذلك الأثر ينمّ على المؤثر . ثم أن القرآن لم يأتنا ـ فيما أعلم ـ بمعاني أرادنا على أن نتلقاها مسحورين لا نحاول علمها وفهمها ، أو التماس مصدرها أو تحسس آثارها ، ثم تكون مع ذلك دليلاً على القوة المجهولة التي تملك اليوم الموعود .

وحتى هذه القوة التي يقول : أنها مجهولة : هي معلومة بآثارها وأوصافها عقلياً قبل أن تكون معلومة بالنقل أو التقليد . وقد أبلغ ذلك الأعرابي وأدمغ وأوجز وأعجز حين سئل عن ربه كيف عرفه ؟ فأجاب : « البعرة تدل على البعير ! ! »

ثم نحن سائلوه : أألزم لرسالة العقل ، وأكرم لصاحبه : أن يرفض البحث والفهم أم أن يبحث ويفهم فيهتدي إلى حقيقة تتعين أو تحتمل ؟! وماذا يضير العقل أن يذهب في فهم المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات كل مذهب تتعين به الحقيقة أو تحمل ؟! فهي أو بعضها طوائف من الملائكة تلقي الوحي إلى الأنبياء : وبعضها أنواع من الرياح تعصف فتدمر ، أو تلطف فتمطر ، وبعضها آيات من القرآن تفرق بين الحقائق والأضاليل .

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

فمياه البحار تتحول إلى نار ، والجبال الثابتة تتحرك وتسير ، والشمس المبسوطة تتكور ، والنجوم الساطعة تنكدر ، والسماء وهي البنيان القوي تنشق وتنفطر ..

وبعد فنحب أن نعلل ملاحظاتنا هذه على كتاب « المشاهد » بأن نظرتنا إلى قصص القرآن ومشاهده إنما هي نظرة إلى « وحدة

راجع سورة التكوير .

متكاملة » يكمل بعضها بعضها ، ويفسر بعضها بعضا .[1] .

---

(١) هذا هو مبدأ المؤلف في دراسة القرآن دراسة موضوعية في الجزء الاول : (القصص الرمزي في القرآن) والثاني : (دين ودولة) وفي هذا الكتاب : (القرآن الكريم كتاب احكمت آياته) وفي الكتاب الرابع : (مأدبة الله في الارض) .

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

---

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

حول الأساطير
ومعرفة الرسول بعلوم القرآن

نشرت مجلة « رابطة العالم الاسلامي » المكية ـ عدد ربيع الثاني ١٣٩٠هـ ـ للدكتور أحمد الحوفي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بالقاهرة ـ مقالاً بعنوان : (بل القرآن كتاب الله) حاول الكاتب فيه أن يرد زعمة الزاعمين من مستشرقين وغيرهم بأن القرآن من كلام محمد ﷺ .

ولكنه أورد آراء حول القرآن والرسول لا نوافقه عليها ، فقد قال الدكتور الحوفي في الفقرة السادسة من مقاله ما نصه : « أن القرآن الكريم حافل بأمور شتى .. كان النبي ﷺ لا يعلمها ، وكان العرب وغيرهم يجهلونها ، ففيه أنباء عن الماضين صحيحة ، كان بعضها مجهولاً ، وكان بعضها أساطير مثل تاريخ عاد وثمود وسد مأرب ونوح وإبراهيم » ..

وقال أيضاً ما نصه : « وفيه آيات كثيرة يفسرها العلماء المعاصرون تفسيراً علمياً مطابقاً للحقائق اليقينية التي اهتدى إليها العلم الحديث ، ومعني هذا أن النبي ﷺ ومعاصريه لم يكونوا على علم بهذه الحقائق الآلهية » ؟

وضرب الدكتور مثلاً بما جاء في القرآن الكريم عن خلق

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

الآلهية ، أو العلمية التي جاء بها القرآن الكريم كحقيقة خلق الانسان !

٣ ـ أن أحداً من المسلمين لم ينسب إلى كلام النبي ﷺ ضرباً من الاعجاز وأن النبي ﷺ نفسه لم يدّع أن كلامه معجز .

ولا ندري ـ لأن عبارته شاملة ـ هل يعني أن قصص عاد وثمود وحدها هي الأساطير؟ أم أن قصص سد مأرب ونوح وإبراهيم أساطير أيضاً ؟ .

فان كانت الأولى ـ أي أن عاداً وثمود كانتا اسطورتين . وهذا هو زعم اليهود والنصارى ، لأنهما لم تردا في التوراة والانجيل ـ فقد جاءت قصصها في القرآن الكريم في أكثر من عشرين سورة منه . ولا يعقل أن تتكرر قصة بهذه الصورة ثم تكون أسطورة !

وإن كان يعني الثانية مع الأولى ـ أي أن قصص عاد وثمود وسد مأرب ونوح وإبراهيم كانت أساطير.. فهي دعوى أكثر بطلاناً من السابقة ، لأن العرب الجاهليين الذين افتروا على القرآن بأنه : (أساطير الأولين) عرفوا تاريخ إبراهيم عليه السلام ، واعتنق بعضهم ديانته ، وكان البيت ـ أي الكعبة ـ رمزاً خالداً يذكرهم دائماً بابراهيم الذي الذي بناه . ولذلك لم يزعموا أن قصص إبراهيم وأولاده من الأنبياء عليهم السلام ـ كانت أساطير[١] .

---

(١) طه حسين زعم في كتابه (الشعر الجاهلي) ان حكاية ابراهيم واسماعيل والكعبة انما هي اسطورة وليست حقيقة تاريخية .

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

---

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

أساطير الأولين : بأنه وزر واضلال للآخرين بغير علم ـ وبأن جزاء زاعمه وسم بالنار على أنفه يوم القيامة ـ وأخيراً تعقيبه : بأن الذي أنزل القرآن الكريم أحكاماً وأمثالاً وقصصاً : هو الله سبحانه الذي يعلم السر في السماوات والأرض .. دليل على أن كلمة (أساطير) تعني الأباطيل ، وأن القرآن الكريم هو الحق والصدق والخبر اليقين .

ويؤيد هذا المعني (للأساطير) أن دعوى المشركين بأن القرآن الكريم أساطير ـ جاءت في القرآن نفسه بأسلوب آخر كقوله تبارك وتعالى : **﴿أم يقولون افتراه﴾** أو قوله : **﴿أم يقولون افترى على الله كذبا﴾** وكان التعقيب للقرآن واحداً في المعني ، وأن اختلف التعبير : **﴿قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾** ومرة أخرى قال : **﴿ثاموا بسورة مثله﴾** كما رد عليهم رداً غير مباشر في ختام سورة يوسف وبعد الاشارة إلى الرسل السابقين ومواقف أقوامهم ـ بقوله عز وجل : **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب .. ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** .

ويزيد الأمر تأكيداً وتوضيحاً في تقرير معني الأساطير : ما ذكره المفسرون من أسباب لنزول هذه الآيات .. وقد زعم هذا الزعم نفسه الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه (الفن القصصي في القرآن) وسنرد عليه في الكتاب الثالث باذن الله وعونه .

معرفة الرسول ﷺ بالحقائق الآلهية :

ودفاعاً عن حسن نية الدكتور الحوفي كما افترضناها سلفاً ـ نكرر أنه يقول ذلك في معرض الاستدلال على أن القرآن الكريم ليس من كلام محمد ، وأنه من عند الله وأن من دلائل ذلك عدم معرفة الرسول ﷺ وأصحابه بهذه الحقائق العلمية .. فحقيقة الأمر ـ التي يقررها النقل ، ويؤكدها العقل : أن النبي ﷺ وصحابته ـ وتابعيهم أيضاً ـ يعرفون من الحقائق العلمية والآلهية الشيء الكثير . ولو لا خشية الاطالة لأثبت للدكتور الحوفي سبق علمائنا وفقهائنا وأدبائنا الأوائل إلى نظريات علمية في نواميس الكون ، والطب والتشريح ، والكيمياء والفيزياء وفي التشريعات الاجتماعية والاقتصادية ، والتربوية ، وعلم الفلك ، مقتبسة كلها أو معظمها من القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولكني لن أفعل ، لأن لذلك مجالاً آخر .. لو اقتحمناه لأبعدنا عن موضوعنا الأساسي في مناقشة الدكتور الحوفي حول ما يقوله من عدم معرفة الرسول ﷺ ومعاصريه بالحقائق الآلهية أو العلمية التي جاء بها القرآن الكريم .

● وقبل الخوض في الموضوع يجب أن نقرر حقيقة مهمة تتصل به ، وتؤثر فيه ، وهي أن القرآن الكريم ليس كتاب نظريات علمية ، وإنما هو كتاب هداية ودعوة ، وما تخلل بعض سوره أو آياته من اشارات ولفتات عن تكوين الكون ونواميسه ، وخلق الانسان وأطواره ، ومبادىء العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والفلكية والتربوية الخ .. هذه الاشارات واللفتات القرآنية ليست نظريات وإنما هي فوق النظريات ، لأنها حقائق الهية مؤكدة وموجزة غير مفصلة ، أما النظريات العلمية البشرية فهي متطورة متقلبة ، ولذلك ينبغي الا نخضع القرآن للنظريات العلمية الحديثة التي لا تثبت على قرار مكين ، وهي متناقضة يوماً بعد يوم . ولكن ما صدقه القرآن الكريم منها فهو صادق وما خطاه فهو خطأ بلا جدال .

* * *

ونعود إلى الدكتور الحوفي ـ فنجده يضرب مثلاً لقولته تلك بآيات ثلاث من سورة المؤمنين وهي قوله تبارك وتعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [(١)] .

أي أن الرسول ﷺ ومعاصريه لا يعرفون حقائق هذه النشأة الانسانية .. التي أكدها اليوم علماء الطب والتشريح ..

وبين أيدينا الآن كتب التفسير بالمأثور التي تلتزم تفسير القرآن بما ينقل عن الرسول وصحابته . كتفسير الطبري وابن كثير ـ مثلاً ـ وكتب الحديث النبوي أيضاً التي تنقل لنا أقوال الرسول وبعض صحابته في تفسير بعض آيات القرآن الكريم ..

---

(١) الآيات : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

● ويهمنا أن نؤكد هنا ـ قبل الاستدلال على رأينا ـ أن معرفة الرسول ﷺ بحقائق القرآن العلمية أو الآلهية ، سواء أكانت ـ أى المعرفة ـ سابقة لنزول القرآن أو لاحقة به لا تجعل دعوى الزاعمين بأن القرآن من كلام محمد صحيحة ولا تتيح لهم سبيلاً إلى الانتصار في قضيتهم الفاشلة ، ولا تعطيهم بينة أو حجة أو برهانا عليها .

نجد الامام الطبري ـ ينقل عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما من الصحابة والتابعين تفسيرهم لقوله عز وجل : ﴿**ثم أنشأناه خلقاً آخر**﴾ التي استدل بها الدكتور الحوفي ـ بأن معناه : (نفخ الروح) بعد استواء النشأة ، وقد صوب الطبري هذا القول من بين الأقوال التي أوردها[1] .

وفي تفسير الامام ابن كثير ينقل المعني نفسه عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري ـ وعن الامام على رضي الله عنه أيضاً .

ويقول الطبري ـ على طريقته في الاستدلال بأقوال العرب : تقول العرب لولد الرجل : سليله ، ولنطفته ، سلالته ، ومثله تفسير البغوي الملحق بتفسير إبن كثير .

ويروي الامام أحمد في مسنده عن إبن مسعود أن النبي ﷺ قال : (إن أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله ، وعمله ، وهل هو شقي أم سعيد) .

---

(١) ج!١٨ ص ٧ ، ٨ .

كما ينقل الامام أحمد أيضاً : (مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش : ان هذا يزعم أنه نبي ، فقال اليهودي لاسألنه عن شيء لا يعلمه الا النبي .. قال فجاء حتي جلس فقال يا محمد : مم يخلق الانسان ؟ فقال يا يهودي من كلٍ يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال اليهودي هكذا كان يقول من قبلك) .

وينقل الحافظ ابن كثير عن الحافظ ابي البراز ، عن أنس أن النبي ﷺ قال : (إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة .. أي رب علقة ؟ . أي رب مضغة ؟ . فاذا أراد الله خلقها .. قال أي رب ذكراً أو أنثي ؟ شقي أو سعيد ؟ . فما الرزق والاجل ؟ . قال فذلك يكتب في بطن أمه)[1]

فكيف يقال : أن النبي ﷺ وأصحابه لا يعرفون شيئاً عن حقيقة نشأة الانسان ؟.. وقد رأينا قليلاً من كثير .. من علمهم بمعاني الحقائق القرآنية ومازاده الرسول ﷺ من تفصيل وتفسير لمراحل النشأة وتحديد أيام كل مرحلة ، وبيان ما يخلق من نطفة الرجل وما يخلق من نطفة المرأة ، وتصديق اليهودي على معرفة الرسول ﷺ لأنها معرفة من قبله من الأنبياء ، وفي ذلك دليل على أن أهل الكتاب ـ من معاصري النبي ـ يعرفون من حقائق النشأة الانسانية ما جاء القرآن مؤكدا له .

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث حماد بن زاد .

معرفة الرسول ﷺ بالحقائق الآلهية :

ودفاعاً عن حسن نية الدكتور الحوفي كما افترضناها سلفاً ـ نكرر أنه يقول ذلك في معرض الاستدلال على أن القرآن الكريم ليس من كلام محمد ، وأنه من عند الله وأن من دلائل ذلك عدم معرفة الرسول ﷺ وأصحابه بهذه الحقائق العلمية .. فحقيقة الأمر ـ التي يقررها النقل ، ويؤكدها العقل : أن النبي ﷺ وصحابته ـ وتابعيهم أيضاً ـ يعرفون من الحقائق العلمية والآلهية الشيء الكثير. ولو لا خشية الاطالة لأثبت للدكتور الحوفي سبق علمائنا وفقهائنا وأدبائنا الأوائل إلى نظريات علمية في نواميس الكون ، والطب والتشريح ، والكيمياء والفيزياء وفي التشريعات الاجتماعية والاقتصادية ، والتربوية ، وعلم الفلك ، مقتبسة كلها أو معظمها من القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولكني لن أفعل ، لأن لذلك مجالاً آخر .. لو اقتحمناه لأبعدنا عن موضوعنا الأساسي في مناقشة الدكتور الحوفي حول ما يقوله من عدم معرفة الرسول ﷺ ومعاصريه بالحقائق الآلهية أو العلمية التي جاء بها القرآن الكريم .

● وقبل الخوض في الموضوع يجب أن نقرر حقيقة مهمة تتصل به ، وتؤثر فيه ، وهي أن القرآن الكريم ليس كتاب نظريات علمية ، وإنما هو كتاب هداية ودعوة ، وما تخلل بعض سوره أو آياته من اشارات ولفتات عن تكوين الكون ونواميسه ، وخلق الانسان وأطواره ، ومبادىء العلوم

بالمعلوم .. فمثلاً نجد القرآن ـ كما أسلفنا ـ يكرر بيان نشأة الانسان ـ وهي معروفة لهم ـ ومشهودة بين أيديهم ـ ليقرب إلى أذهانهم حقيقة النشأة الأخرى التي كانوا يصرون على انكارها واستبعادها واستغرابها .. يقول عز وجل ـ في اول سورة الحج ـ **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلقة الخ .. ﴾** .

ويقول لهم ـ في سورة القيامة ـ أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمني ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثي ـ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتي ؟﴾ .

وقد تكرر ـ كما أسلفنا ـ احتجاج القرآن أو استدلاله بالنشأة الأولى ـ المعلومة ـ على النشأة الأخرى المجهولة ولو كانت النشأة الأولى مجهولة للمخاطبين ـ أو لا يعرفها النبي ومعاصروه على حد تعبير الدكتور الحوفي ـ لكان استدلال القرآن بمجهول على مجهول أو غائب على غائب ، وهو عبث يتنزه عنه كلام المخلوق فكيف بكلام الخالق العليم الحكيم .

ويلاحظ أن في آيات القيامة المذكورة آنفاً حقيقة علمية أقرها العلم الحديث ـ ولا أقول اكتشفها ـ لأنها كانت معروفة للسابقين ، وهي أن تذكير المولود أو تأنيثه يرجع إلى نطفة الرجل ، لا إلى نطفة المرأة لأن نطفة الرجل تشتمل على الصبغى

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن ـ في الوجهة الأولى ـ لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو ـ ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر ـ بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام ـ أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة ـ كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

وحسبنا أن القرآن نفسه يمن على الناس بأنه بعث منهم رسولاً يتلو عليهم الكتاب ، ويعلمهم الكتاب والحكمة . ويكرر القرآن جملة **﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة . ويكرر القرآن جملة ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** في كثير من الآيات .. ويقول الرسول ﷺ عن نفسه : (إنما بعثت معلماً) كما أن علماء الطب مسلمين وغير مسلمين قد أعلنوا اليوم بعد دراسات مقارنة بين الطب النبوي والطب الحديث : صواب الرسول ﷺ ومعرفته الدقيقة لكثير من أسرار الداء ، وأسرار الدواء ..

رابعاً : أن النبي ﷺ كان يقول : (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلمهم على قدر عقولهم) وفي حديث آخر : (خاطبوا الناس على قدر عقولهم .. أتريدون أن يكذب الله ورسوله) .

فاذا لم يحدث الرسول ﷺ لأصحابه أو لعامة المسلمين عن بعض ما يعرفه من حقائق ومعارف كونية أو انسانية أو غيبية .. فليس ذلك الا حكمة منه ، وتقديراً لمستويات عقول الناس ، وما كان ذلك منه جهلاً .. حاشاه عليه الصلاة والسلام .

* * *

وقد استنبط علماء التربية المسلمون من هذا المنهج التربوي النبوي نظرية تعليمية حكيمة .. وهي (أن يقتصر المعَلم بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عقله) كما

● وقال في ص (٢٨) : « وما مسني السو ـ إن نقول الا اعترك بعض آلهتنا بسوء » يعني الجنون .

وكلمة « سوء » في القرآن من الوجوه والنظائر ، كالصلاة والهدى والأمة والدين والرحمة والدعاء . التي ترد لأكثر من معني واحد ، وعلى ذلك فكلمة (سوء) في الآية الأولى غيرها في الأخرى ، فهي في الثانية بمعني (الجنون) وليست في الأولى كذلك ، لأن الله يلهم نبيه فيها الاعتذار إلى الناس بانه بشر من البشر ، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولم يمسه السوء من مرض ... وافتقاد أهله وإيذاء المشركين له في مكة ، والمنافقين في المدينة ولكنه مثلهم يصيبه ما يصيبهم ، ولا يدري ما يفعل به ولا بهم ، إلاّ أن صبره غير صبرهم ، وأجره غير أجرهم ، وبذلك يتضح مكان عبارة (ومامسني السوء) وهو العطف على جواب (لو) وهو قوله (لاستكثرت من الخير) وذلك أبلغ وأدمغ من اعتبارها مستأنفة بنفي الجنون عن نفسه ، في مقام يتمني فيه أن يعلم الغيب ليستكثر من الخير ، ويسلم من السوء ..

* * *

● وقال في ص (٣٠) : **﴿عزيز عليه ماعنتم ـ ولو شاء الله لاعنتكم ـ لمن خشي العنت منكم﴾** يعني الإثم ! والاثم ـ في اللغة ـ الذنب ، والعنت هو المشقة في اللغة وفي مساقات هذه

حول أسلوب القرآن وأحكامه

يرى الدكتور جوستاف لوبون (في ص ١٢٣ و ص ١٢٩) ـ في كتابه (حضارة العرب) ـ أن القرآن لم تكن مواده وأحكامه ذات الموضوع الواحد مرتبة مبوبة كدأب سائر الكتب . ويعزو ذلك إلى سببين .. الأول نزول القرآن منجماً متبعاً لمقتضيات الأحداث في عهد النبي ، وحلاً لما كان يعترضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مسائل ومشاكل . والسبب الثاني : كون النبي أمياً .

وقبل أن ندخل في جداله ، نريد أن نحيل القارىء إلى الفصل الذي كتبناه في رد دعوى القائلين بأن القرآن من إنشاء محمد ـ في كتابنا « مفتريات على الاسلام » ـ فان الدكتور جوستاف يعلل دعوى عدم ترتيب القرآن بأمية الرسول .. أى أن القرآن من كلام محمد !

وليدرك أشباه الدكتور لوبون أن القرآن في مقام أرفع من الاتهام والملام ، يجب أن يفهم الملاحظ الآتية :

● الملحوظ الأول : أن القرآن ليس كتاباً علمياً ، ولا كتاباً فلسفياً ، حتي ترسم سوره ، وترتب آياته على قواعد علمية

رؤوسهم يائسين » .

وجدالنا حول هذا الملحظ يتجه وجهتين : الأولى نفي الأستاذ سيد رؤية الله نفيا مؤكداً . أو مؤبدا بـ « لن » وطبيعي انه يعني الرؤية الأخروية لأنه إنما يتحدث عن مشاهد الآخرة ، والثانية قوله بمعنوية الحجب وتجسيمه ... بانتكاس رؤوس الفجار ، وعدم تطلعهم إلى ربهم خجلاً ويأساً .

● ونحن – في الوجهة الأولى – لا نريد أن نطيل في سرد الأدلة القطعية والظنية من القرآن والحديث على امكان رؤية الله ، فالأستاذ سيد يعلمها ، وإن كان لا يعتقدها كما يبدو – ومظانها ميسورة له قريبة منه ، وإنما نكتفي باستنباط حجتنا عليه من نفس الآية التي عرض لتصوير مشهدها : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانها تقرر – بطريق مفهوم المخالفة ، وهو أحد علوم القرآن التي يعتمد عليها الأئمة في استنباط الأحكام – أن المؤمنين غير محجوبين ..

وفي الحديث الصحيح أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ :

(هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في الشمس ليش دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله : قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك[1] .

---

(١) اخرجه الامام البخاري في كتاب الرقاق عن ابي هريرة .. وعن جرير في كتاب التوحيد وعن ابي سعيد الخدري في رواية ثالثة – كما اخرجه الامام مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى .

متكلم بلغة ما حين يطعن في أسلوب لغة أخرى لم يألفها لسانه ، ولم يدرك سرها حجاه .

● ثانياً : إن التكرار في مواقع اللجاج والجحود المتتابع أسلوب مرغوب فيه في اللغة العربية ، ومعروف فيها منذ عهودها الأولى .. والقرآن الكريم كتابها الأعلى وحجتها البالغة ، إنما جاء في الذروة من أساليبها بلاغة واعجازاً وسحراً ..

● ثالثاً : الملاحظ في آي القرآن الكريم أن التكرار أكثر وروداً في مخاطبة المكيين وقد كان هؤلاء ـ لو يعلم المستشرقون ـ غلاظاً جفاة عُتُدا .. وهم في الوقت نفسه أشد العرب فهماً وذكاء ، وأحدهم منطقاً وكلاماً ، ومقامهم ـ وهم كذلك ـ يقتضي مقالاً مناسباً .. فيه التكرير والتغليظ والتذكير والوعيد كقوله تعالى بعد كل قصة أو موعظة في سورة الشعراء : (أن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين .. وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقوله تعالى في سورة القمر : ﴿**فكيف كان عذابي ونذر ـ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر**﴾ وقوله تعالى في سورة المرسلات : ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ .

وقد جاء في سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ أكثر من ثلاثين مرة ولم يخل هذا التكرار بالمعني المفهوم ، ولا بالسياق المنظوم ، والسر فيه أن كل آية أو اثنتين من هذه السورة تضمنت تذكيراً بنعمة من نعم الله السابغة على الناس ـ دنيوية وأخروية ، ترغيبية وترهيبية ، فناسب أن يكرر فيها هذا التساؤل التذكيري الذي يذكر الناسي ، ويحج الكفور .

● وقال في ص (٢٨) : « وما مسني السو ـ إن نقول الا اعترك بعض آلهتنا بسوء » يعني الجنون .

وكلمة « سوء » في القرآن من الوجوه والنظائر ، كالصلاة والهدى والأمة والدين والرحمة والدعاء . التي ترد لأكثر من معني واحد ، وعلى ذلك فكلمة (سوء) في الآية الأولى غيرها في الأخرى ، فهي في الثانية بمعني (الجنون) وليست في الأولى كذلك ، لأن الله يلهم نبيه فيها الاعتذار إلى الناس بانه بشر من البشر ، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولم يمسه السوء من مرض ... وافتقاد أهله وإيذاء المشركين له في مكة ، والمنافقين في المدينة ولكنه مثلهم يصيبه ما يصيبهم ، ولا يدري ما يفعل به ولا بهم ، إلاّ أن صبره غير صبرهم ، وأجره غير أجرهم ، وبذلك يتضح مكان عبارة (ومامسني السوء) وهو العطف على جواب (لو) وهو قوله (لاستكثرت من الخير) وذلك أبلغ وأدمغ من اعتبارها مستأنفة بنفي الجنون عن نفسه ، في مقام يتمني فيه أن يعلم الغيب ليستكثر من الخير ، ويسلم من السوء ..

* * *

● وقال في ص (٣٠) : **﴿عزيز عليه ماعنتم ـ ولو شاء الله لاعنتكم ـ لمن خشي العنت منكم﴾** يعني الإثم ! والاثم ـ في اللغة ـ الذنب ، والعنت هو المشقة في اللغة وفي مساقات هذه

الكاثرة ـ خير دليل نقدمه لمن ينكر وجود حرية الفهم والفكر ، وحق الاجتهاد والاستنباط في الفقه الاسلامي .

ودليل آخر نستأنس به في هذا المقام : هو أن أكثر القرآن مجمل فصلته السنّة .. وأن السنة هذه اختلفت أحوالها وأقوالها ، وتعددت امكنتها وأزمنتها وتباينت رواياتها ومفاهيمها .. فاختلف الائمة الأربعة ، ومن دونهم قدرة وشهرة ـ في تقرير مذاهبهم الفقهية يسراً وعسراً ، وتقييداً واطلاقاً . بما يصح أن نسميه رحمة بالمسلمين . ونحتج لذلك بأن كل هؤلاء مقتبسون من القرآن والسنة .. ولكل منهم على مذهبه مستند راجح ، وسلف صالح .. ومذاهبهم ـ مع ما يبدو من اختلافها ـ متفقة على إقامة الحدود ، ونصب المعالم ، ورعاية المكارم ، وصيانة الحقوق والحرمات .

لا سيادة للفرد في الاسلام :

أما ما زعمه جوستاف من أن الاسلام يضع جميع السلطات في يد سيد فرد ، فقدكان يكفي لانصرافه عن هذا الزعم أن يرجع إلى القرآن الذي يزعم أنه درسه وفحصه ، وخرج منه بما خرج من فهم وحكم .

● فالقرآن ـ أولاً ـ يطالب المؤمنين برسالة الاسلام ، بالفهم والتدبر وفحص البراهين ، وبالتشاور وسؤال أهل الذكر .. حتي في المسائل الدينية التي تتلون عادة بلون الأمر الالهي المطلق ، ويطلب من المعرضين عنه ـ في الوقت نفسه ـ أن يأتوا في جدالهم

وخصومتهم بالبرهان على ما يزعمون لله من أنداد وشركاء ، وما يتوسلون به من وسطاء وشفعاء .

● والقرآن ـ ثانياً ـ يأمر رسوله بقوله : ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[1] وإذا كان هذا الأمر القرآني لم يعذر منه الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى : ﴿**إن هو إلاّ وحي يوحى**﴾ فغير الرسول من خلفاء وأمراء ورؤساء أكثر التزاماً وتقيداً بواجب سؤال أهل الذكر واولى الفكر ، وأخذ شوارهم ـ بلا جدال .

● والقرآن ـ ثالثاً ـ يعد من صفات المؤمنين برسالة الاسلام أن ﴿**أمرهم شورى بينهم**﴾[2] ويقرن ذلك باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والعفو عن الاساءة الخ .

ثم إن تاريخ الخلفاء الاسلاميين حفيل بصور هذه الشورى . وقيامها بينهم وبين رعاياهم[3] بل هناك ما هو أروع منها ، وهو قيام العلماء والقضاة في وجوه المخالفين من حكام المسلمين بالزجر والنهي والموعظة الجاهرة .. حتي عمر بن الخطاب المعروف بعدله وحرصه ، وسهره على رعاية الأمة وتحقيق المساواة بين أفرادها لم يسلم ممن قاله : (اتق الله يا عمر) وحاسبه على رداء لبسه وكان أطول مما أعطى لغيره من الرعية ، فكان جوابه الهاديء : أن طلب إلى ابنه عبدالله أن يتولى إجابة السائل فاجابه بأن رداء أمير المؤمنين مؤلف من ثوبه وثوبي ! !

---

(١) سورة آل عمران/١٥٩ .
(٢) سورة الشورى/١٣٨ .
(٣) يراجع كتابنا (دين ودولة) الفصل الخامس .



